والبقية صمت وسكون

حفريّاتٌ في خزائن الصّمت: تراجيديا هاملت نموذجًا

والبقيّة صَمتٌ وسُكُون

حفريّاتٌ في خَزَائِنِ الصّمْت

تراجيديا هاملت نموذجًا

الطبعة العربيّة الأولى، 2010

النّاصرة، 2005 – 2008

لوحة الغلاف: ألكسندر كابانيل، "أوفيليا"، 1883

تصميم الغلاف والتّنسيق الداخلي: وسام جبران

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن مُسبق من الناشر.

©Dr. WISAM GIBRAN

THE REST IS SILENCE

First published in 2010 by Kul Shee Ltd
Nazareth, 2005 - 2008

Cover painting by: Alexandre Cabanel, "Ophelia", 1883
Cover Design & layout concept by: Dr. Wisam Gibran

Copyright © 2010, Exclusive rights by Kul Shee Ltd
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

د. وسام جبران

والبقيّة صَمْتٌ وسُكُونْ

حفريّات في خزائن الصّمت

تراجيديا "هاملت" نموذجاً

2005 - 2008

دار بيسان – كل شيء فرع القاهرة

مكتبة كل شيء – حيفا

الناشر

مكتبة كلّ شيء

e-mail: sabbasi@kul-shee.com

www.kul-shee.com

إلى حنان

المحتويات

توطئة..... 7
هاملت وإشكاليّة الهُويّة..... 18
اللاّمُنتمي..... 31
حضورُ الغياب وغيابُ الحُضور..... 38
الانتماء واللاّ-انتماء: جدليّةُ الإقْفالِ والانحراف..... 41
ذواتُ هاملت..... 49
الطّيف، اللاّ-حقيقة، الاحتجاب..... 50
الجنون..... 61
صائتيّةُ الصّمت أو إنسانيّةُ النّقص..... 62
شذرات..... 66
"النّقص الجذريّ":..... 67
عقلنة الجنون أو إنسانيّة السّقوط..... 67
شذرات..... 68
النّقص تجلّيًا للممكن..... 71
حركيّة اللا-انتماء..... 75
الصّمتُ..... 80
"الصّمتُ" مُحالًا إلى "الفوق إنسانيّ"..... 81

الصّمتُ سؤالًا . الصّمتُ مُقاومةً..... 84
الصّمتُ: النسيان المرغوب والنسيان الممقوت..... 87
ازدواجيّة القيادة والانقياد: فعلُ عُبور..... 91
حقيقةُ الصّمت وحقيقة الصّوت بين الذّرائعيّة والرّفض..... 98
"أكون أو لا أكون"..... 106
الوجودُ الصّامتُ والوجودُ المتداول..... 107
أوفيليا أو مناسبةُ الرَّغبة..... 112
أوفيليا أو لحظةُ انفعال الأولى..... 114
لحظةُ انفعال الأولى بوصفها مُمكنًا صامتًا..... 119
لحظةُ انفعال الأولى في الذّاتِ الرّاغِبَة..... 125
المراجع الأجنبيّة..... 131
مراجع باللغة العربيّة..... 137

توطئة

1

في هذه الدّراسة التي لا تتّبع نسقًا أو منهجًا أكاديميًّا بعينه، والتي جعلناها أشبه باجتهاداتٍ تأويليّة تُصغي إلى ذاتها، وتنطلق عبر حوارٍ طباقيّ هو أشبه بالنسيج منه بخطٍّ منطقيٍّ متسلسل، تمتثل مسرحيّة وليم شكسبير "هاملت"، بوصفها وسيلة لا غاية، لبحث تأويلات "الصّمت"[1] والتّحليق معها عبر الحفر في مَنطوقات "الصّوت" وميادين الخطاب الاستلابي[2]؛ في التنقيب عن أصولها وفي أبعادها الدراميّة الفاعلة في إنشاء أسئلة وجوديّة هامّة، كذلك في مجموع العَلاقات والقوى التي يتم تحويل "الصّمت"، بموجبها، إلى هامشٍ بدل أن يجري

---

1 مرحليًّا، وكي لا نترك القارئ حائرًا تمامًا مع هذه الاصطلاحات التي نعمل على بناء معناها خلال البحث، فالصّمت هو "كلّ ما لم يُقل، أو الاحتمال غير المتحقّق بعد، أو بكلمة: المستقبل؛ بمعنى "الخطاب" الآتي من المستقبل لا من الماضي، ومن زاوية نظر أخرى فهو "الصّوت المحجوب، صوت الهامش لا صوت المتن السّلطوي، هو صوت "الجنون" الهاملتي الملامح لا صوت "العقل" المُهيمن.

2 مصطَلَحٌ سوف أستخدمه لتوصيف ما يندرج تحت الخطاب المُسْتَنْطَق من قبل من يمثلون أصحابِ السُّلطَة.

التعامل معه كمَتْنٍ، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ ثانية، فبين منظومة العلاقات والقوى التي تشكّل المنطوقات والخطابات، والتي تغمز إلى بُنى الهوامش وخزائن الاحتمالات، حيث "الصّمت"، وبين ما يتشكّل بوصفه الجبهة المُضادّة، (ولو لوهلةٍ)، ويُنشئ ما يدّعي "الصّمت"/ "الهامش"، خالقًا لنفسه حقيقتَه اليقينيّة الخاصّة، بين هذه وتلك بَرْزَخٌ يشكّل صميمَ الدراما الشكسبيريّة، والذي يتمثل بالدرجة الأولى في شخص هاملت وفي وجدانه تحديدًا، حيث يدور الصّراع وتتخّذ "إراداتُ القوّة"[3] مسرحَها. هذه المساحةُ . البرزخُ بالتّحديد، هي مدار اهتمامنا الأخير والأهم في هذه الدراسة.

2

نحن هنا، ومنذ البداية، أمام منظومتين، تدّعي كلّ منهما امتلاك "الحقيقة" الكاملة: منظومة تنطلق من ادّعاء امتلاك القوّة نحو إنتاج "الحقيقة" والإصرار على إلصاق "الـ" التعريف بها، وفقًا لمنافعها الخاصّة. ومنظومة تنطلق من ادّعاء امتلاك المعرفة نحو إنتاج "الحقيقة"، كذلك، وفقًا لمنافعها الخاصّة. وبين هذه وتلك، النّايُ الذي ينفخُ فيه

[3] (إرادة القوّة)، تعبير نيتشويّ في الأصل.

الجميع: وُجْدانُ هاملت البرزخيّ وما يمثّله على مستوى تاريخ الفعل الإنسانيّ.

تلجأ "إرادة الاستلاب"، متمثّلةً بالسلطة (كلاوديوس، بولونيوس، وبدرجةٍ أقل فعاليّةٍ، جيرترود الأم)، إلى السلاح الذي تكاد لا تملك سواه: خلق الحقائق الخاصّة والمنفعيّة عبر تقنيع الوجود وتغييب الموجود تمهيدًا للهيمنة. هكذا تُحْجَبُ "حقائق" ليبقى "خطاب" يدّعي أنه "الحقيقة" الوحيدة، وذلك من خلال إنتاج لغةٍ تابعةٍ لهذه الآليات التقنيعيّة - التّغييبيّة، والتخفّي خلف عباراتٍ من قبيل: "الحكمة السماويّة" أو "الطّبيعيّ" وغيرها من الأُمثولات التي تنتشر طامرةً معاني الخطاب بطحالب اليقينيّات. فما هذه العبارات إلاّ صياغاتٍ استعاريّة[4] تتحوّل إلى تشكيلاتٍ مثاليّة[5] عبر اختيار أصلٍ ما للمعنى ومن ثمّ طمس الاستعارة عبر المرور من المحسوس إلى الرّوحيّ باستخدام آليّات المجاز.

لا تتحرّج المنطومة الأخرى، متمثّلةً بالطّيف _ الأب، من استخدام الأسلوب اليقيني ذاته في عرض "ال"حقيقة وحسب، بل تبدو، من ناحيةٍ ثانية، عاجزة عن اختراق العقليّة النفعيّة للخطاب الآخر، لأنها لا تفهم لغته ولا ترى ما يراه أو تسمع ما يسمعه، بل وربما أكثر من ذلك، حين تناور ذاتها وتخادعها هروبًا، آبيةً مجرّد التفكير في حقيقة جوهر هذا

---

[4] Metaphorization

[5] Idealization

الآخر المختلف، فتُسقِطُ على أفعاله مَعانٍ غير متضمَّنة في حقيقة الأمر، وبعيدة عن كلّ جوهر، لأن هذا "يحميها" من الخوض في النظر فيما يفرضه الآخر المختلف من أسئلة قد تخلخل بنيانها.

فإن "الحقيقة" في خطاب السُّلطة الاستلابي، ما هي إلاّ محاولات مثابرة ومناورة لجعل مطابقة الموجودات وملاءمتها مع الأفكار المُتصَوَّرة عنها سلفًا، وفي ذلك مَرَدٌّ إلى الفكر الدّيني القروسطيّ:

"بل إن هذه الفكرة تصدر عن الإيمان المسيحيّ وعن الفكرة اللاهوتيّة اللذين يعتبران أن الأشياء، في ماهيّتها ووجودها، لا توجد إلا من حيث إنها، كموجوداتٍ مخلوقة (Eu creatum)، تلائم الفكرة المتصوّرة سلفًا من طرف العقل الإلهيّ، فالأشياء إذن منتظمة وفق هذه الفكرة، ومتطابقة معها، وبهذا المعنى فهي "حقيقة"."[6]

في هذه الآليّة الاسترجاعيّة، حيث تُرَدُّ الأشياء إلى مرجعيّاتٍ يشترك الإجماع على كونها يقينيّة وغير قابلة للنقد، وحيث كذلك، يتم السّعي إلى تطبيع ما هو ليس طبيعيًّا، بعيدًا عن حقول الأسئلة، وهروبًا مما قد

---

[6] مارتن هايدجر، "التّقنيّة – الحقيقة – الوجود"، ترجمة: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995، ص13،14.

يؤول إلى زعزعة "الحقيقة" من حيث هي "تعني أساسًا وفي كلّ الحالات، التّوافق (La convenentia)."[7]

3

أمام هذا الاستعراض المدْخَليّ السريع لماهيّة خطاب الاستلابيين المتمثّل، كما أوردنا، بأشخاص الملك وبولونيوس بدرجة أساسيّة، والملكة بدرجةٍ مختلفة، والذي سنستعرض لاحقًا وسائلَه السّلطويّة المُتفذلكة الكثيرة لإسماع صوته وإخراس "المُختلف"، أمام هذا، يصير الصّمتُ إلى فعل مُقاومة، ويصبح كلّ ما يُراد له أن يبقى صامتًا وغائبًا، فعلًا مُؤَوّلًا، وشكًّا مُخلخِلًا ومنطَقة قلَق. وبين هذا وذاك يدور الصّراع، لكن حلبة الصّراع الحقيقيّة، والتي تتحوّل مع الصّراع إلى موضوعه ومعناه وحقائقه المركّبة، لا بل ضحيّته، هي وُجدانُ هاملت.

إننا نجري محاولة مُرهقة لسبر هندسة معنى الوجدان الهاملتي عبر الإصغاء إلى الصّمت في مسارٍ قد يبدأ بالتأويل النصّيّ، ولا ينتهي في التحليل النفسيّ. وهذا انطلاقًا من اقتناع أوّليّ بأن مجمل الأصوات في

---

[7] المصدر السابق، مارتن هايدجر، "التّقنيّة – الحقيقة – الوجود"...، ص 14.

مسرحيّة "هاملت" تصمُتُ عن، فيما هي تشكّل وتصيغ خطابها وتُفصِح عن.

لقد بات قِطاع المُناجاة/الاعتراف يشكّل مساحة هامّةً، في سياق "هاملت"، من سياقاتِ الدّلالة والإصغاء بوصفها المُعادل للفهم كسيرورةٍ تشترطُ انفتاح، وتحصيلٍ يستدعي البحث. وفي هذه المساحات يتجلّى النّقص أو السُّقوط الإنساني.

في خضمّ اجتهاداتنا نتوصّل إلى "الذَّوْب التأمليّ"، حيث الفضاء المواتي لتشكّل لغة الاعتراف، فيكون النّقصُ أو انفتاح على الخطأ مُمكنًا، ويكتسب الذَّوْبُ التأمليّ من تلميحيّة النّقص ورمزيّة الانفتاح على الخطأ إثراءً هامًا يُحيل الذَّوْب التأمليّ إلى عالم الصّمت حيث النّقص يلمّحُ ولا يُفصِحُ؛ الصّامت هنا، بات مركز جاذبيّةٍ لمدارات الوعي المتحرّك داخل ذواتٍ كثريّة.

4

ما يمثّله هاملت عبر هذه التجربة الإنسانيّة التراجيديّة الوجوديّة، يتضمّن ما يدور في آفاق معاني المقاومة في سبيل استلاب حقّ مُطابقة "الحقيقة" لمرجعيّاتٍ "فوق إنسانيّة"، وردّها إلى الذات

الإنسانيّة، بما هي عليه من صيرورة، والتي باتت موضوع الصّراع وضحيّته، وبمعنى آخر، حاول هاملت الخروج من "مَتْنِ الحقيقة المُهَيْمِنة" إلى "هامشِ حقائق مُتنحِّية"، مُحاولًا ربط "تحوّلات البحث في كيمياء حقائق" مع حريّته الإنسانيّة من حيث هي كثريّة وتعدّديّة، ومن حيث هي تمحو وتنتظر من يمحوها.[8]

5

ما أضعف الإنسان أمام حِمل الحقيقة! بهذه الكلمات يُدافع الاستلابيون عن خطابهم أمام اهتياج الأسئلة الهاملتيّة، وبـ "العقلنة" السلطويّة يتصدّون لـ "الجنون" الهاملتي: الحقيقة أثقل من حرّيتك، لذا، عليك أيّها "المواطن" أن تقبل بحقيقتنا من حيث هي "إرادة الفَوْق إنسانيّ/ الخالق"، فهو وحده القادر على حمل أعباء الحقيقة، ولا شيء يكون خارج إرادته، فاقبل بها راضيًا مُطمئنًّا مُرتاحًا!

إنّ عمليّةَ الإصغاء إلى الذات شرطٌ لوعي الذّاتِ. ولكن، وكأن الذّاتَ حين تُصغي إلى ذاتها تنفصِم إلى ذاتٍ تُصغي وأخرى يُصغى إليها. في هذه الآليّة

[8] التعبير بالأصل لأدونيس: "أمحو وأنتظر من يمحوني"، أغاني مهيار الدّمشقي.

إنما تعي الذّاتُ نفسَها بوصفِها ذواتًا، ويصير حريًّا بنا أن نقول بدلًا من "تعي الذّاتُ ذاتَها"، "تعي ذاتٌ (من ذواتِنا) ذواتيَّتَها (كونها ذاتًا من ذواتٍ متعدّدة)".

لا شكّ أن عمليّة الإصغاء هذه تتطلّبُ مجهودًا انفتاحيًّا يُفضي إلى أسئلةٍ لا تنتهي، وذلك بعكس التّسليم بواحديّة الذّات وواحديّة الخطاب المُفصِح. المُسْكِت، الإقفاليّ و(المُطَمْئِن).

6

"الصّمت"، أو "المسكوت عنه"، أو "ما يُراد له أن يبقى غائبًا"، الخ.. كلّ معاني الصّمت في هذه التراجيديا الشكسبيريّة تحتمل العديد من الوجوه التي لها دلالاتها المركّبة والتي تتفاعل وتؤثّر بأشكال متشابكة وطباقيّة، فالصّمت، وإن تجلّى، أحيانًا، بأشكال أكثر وضوحًا: في بُنية الطّيف (الأب) الغائب . الميّت، على سبيل المثال، فإنه يفعل ويشتغل شغله في الكثير من محاور الدراما، ربما الأقل وضوحًا ومباشرة للوهلة الأولى.

الصّمتُ هو ليس ما يختفي وراء تعدّد معاني الصّوتِ وتمثيلاتِهِ المُفصِحَة وحسب، والصّمتُ ليس ما لم يقُلْهُ الخِطابُ الصّائِتُ المُتحقّق بوصفه

أحد إمكانات خزائن الصّمتِ أصلًا وحسب، بل هو، كذلك، ذلكَ السُّكوتُ النّاجمُ عَن الإفصاح بوصفه آليّة إسكاتٍ واستلابٍ بالدّرجة الأولى؛ إستلاب وإسكات يسكنان في "أل" التعريف السّابقة للمُفْرَدَةِ الواحديّة: "حقيقة"، في سبيل تغييب كُثريّة "حقائق" منزوعةٍ من "أل" التّعريف.

الوُجدانُ الإنسانيّ الهاملتيّ في سعيه إلى انتحال الصّمت بوصفه أداةً تأويليّةً إنما يضع الخطابَ الاستلابي برُمّته بين مزدوجين، وما كان تمثيلًا لخطاب "الحقيقة"، يُصبحُ أمام إمكانية التأويل "كلمات كلمات كلمات..." (II.ii.192) .

إنَ الصَمت لو تكلَم لوضع اللغةَ برُمّتها بين مُزدوجين مؤوّلًا كلّ خطابٍ، متحفّظًا على كل مرجعيّةٍ وكلّ معنى، مُخَلخِلًا بُنيانَ ما كان في سبيل ما سيكون، ومؤسسًا بذلك لخلخلته هو نفسه.

- حين نخلخل خطابًا إنما ننتحلُ صَمتَهُ هو.
- أيّ صمتٍ بالتّحديد؟
- ذلك الصّمت الذي أنتجته طبيعةُ إفصاح هذا الخطابِ بعينه.

7

نجح شكسبير في جذبنا نحو هاملت من حيث تشكيله كشخصيّة مسرحيّة ذات هويّة دراماتيكيّة حركيّة لا-إنتمائيّة منذ أن نطق بعبارته الأولى.

هذا اللا-إنتماء إلى أيّ هويّة مُطمئنّة، هو بالذات ما يحيل وُجدان هاملت إلى بيئةٍ تتفاعل فيها أسئلة وجوديّة مصيريّة تشير إلى الإنسان الذي يمثله هاملت، في تحوّلاته وارتجافاته عبر مسيرة حياةٍ مُخلخَلةٍ ومخلخِلةٍ في آنٍ معًا. ولعلّ السؤال الشكسبيريّ الشّهير الوارد على لسان هاملت: "أكون أو لا أكون"، هو ذلك السؤال الشهير الذي يُعْنى، بالدّرجة الأولى، بفعل الـ "كَيْنونة" (to be) وفعلِ الوجود "كان (أكونُ)"، وبالتالي فنحن أمام سؤالٍ وجوديّ، ليس بسبب استخدامه فعل الوجود فحسب، بل إلى أبعادٍ، سوف نخوض في فهمها الأوسع فيما بعد، وضمن سياق المسرحيّة العام بتعقيداته وطباقيّاته. ولكن تبقى العبارةُ الأهمّ في هذا النصّ الإنساني هي تلك العبارة الأخيرة التي وضعها شكسبير في فم بطله، لحظةً قبل موته: "... والبقيّة صمتٌ وسُكُونْ". وكأن الصّمتَ يقول: أنا الكائنُ "أ" أقيمُ داخلَ عقلِكَ أيّها الكائنُ الهاملتيّ "ب"، وأمُدُّكَ بالإصغاء بوصفه أحد مكنوناتي، لكي يكونَ وسيلتك إليّ، أمّا "البقيّة" فتلك المُمكِناتُ التي لم

يُفصَح عنها بعد، أو تمّ إخراسُها من قبل داخل الإنسان نفسه، وما زال مشروعُ الإصغاء مُنفتحًا على الذات غير مُكْتمِلٍ.

لكن، تبقى إشكاليّة الوجدان الهاملتيّ في أن اللغةَ/ الصّوت، هي الوسيلة التي يُشارُ بها إلى الصّمت، جاعلًا من "الإصغاء" وتيرةً وتواترًا يشكّلان معًا شرط الوجود الإنسانيّ الهاملتيّ.

هاملت وإشكاليّة الهُويّة

في الحقيقة، وقبل أن نخوض في نظرتنا إلى إشكاليّة الهُويّة الهاملتيّة في نصّ شكسبير، وفيها، ربما نستعين بالتّحديد بفكرةٍ، وردت في قراءة الفيلسوف "جيل دولوز" لمشيل فوكو[9]، كمدخل إلى هذه المساحة في بناء هاملت وتحوّلاته، قبل ذلك، ربما تجدر الإشارة إلى مستهل مقالة لـ David Leverenz، بعنوان "المرأة داخل هاملت: نظرةٌ بين شخصيّة"،[10] وكانت قد نُشرت، بالإضافة إلى مجموعة مقالات أخرى، ضمن كتاب حمل اسم "هاملت" أعدّه Martin Coyle،[11] وقد انطلق D. Leverenz، بصورةٍ غير واضحة، نحو دراسة هويّة هاملت من نقطةٍ أضعف بكثير من عبارة هاملت الأولى، على الأقلّ، والتي تخدم هذه الدراسة وتفيدها على نحو كبير، فقد اختار تحديدًا عبارة برناردو دون غيرها:

---

[9] Gilles Deleuze, `Foucault`; translated and edited by Sean Hand London: The Athlone Press, 1988

[10] David Leverenz, `The womam in Hamlet: An interpersonal view`.

[11] Edited by Martin Coyle, `Hamlet`; Macmillan press LTD, first published, 1992 (See the article `The womam in Hamlet: An interpersonal view`, by David Leverenz, page 132-153)

"من هناك؟ صرخة برناردو المتلهّفة، التي يستهلّ بها شكسبير أكثر مسرحيّاته إشكاليّة، تطرح السؤال الأساسيّ حول هُويّة هاملت."[12]

يدخل دافيد ليفيرنتس عبر سؤال برناردو هذا إلى تخوم البحث في تشظّيات هُويّة هاملت وتعقيدات مكوّناتها. ثم يحاول الإجابة على سؤال الهويّة ذلك من خلال إقصاء، أو، كي لا نبالغ، التقليل من أهميّة ما أسماه بـ " الرّغبات الكامنة في النفس" (self-contained desires)، لحساب ما أسماه بالـ "احتمالات البين شخصيّة" (interpersonal expectations)، في سبيل تعليل الانقسامات في هويّة هاملت وبالتالي، ما يؤول فيما بعد إلى تعليل إرجاءات هاملت ومماطلاته.[13]

ثلاثة آباء يتصرّفون كآباء محبّين، ثلاث محرّكات، جميعهم رجال سُلطة، يُديرون اللعبة، كلٌّ بخيوطه الخاصّة، ساعين بذلك إلى توجيه هاملت وتفعيله. بين تناقضات هذه الخيوط/ الرّغبات فيما بينها، أو تناقض كلٍّ منها مع نفسها في سيرورة الأحداث وتعدّد الظروف، تتولّد هويّة هاملت منقسمة ومنفصمة؛ فمن جهة، الطّيف . الأب الذي يريد هاملت ابنًا مُطيعًا لرغبته في الانتقام متناسيًا أمّه. ومن جهةٍ ثانية، كلاوديوس زوج

---

[12] المصدر السابق، Martin Coyle, `Hamlet`، والإقتباس كما ورد في اللغة الأصليّة:
= "Who`s there?" Bernardo`s anxious shout, which begins Shakespeare`s most problematic play, raises the fundamental question of Hamlet`s identity".

[13] انظر المصدر السابق Martin Coyle, `Hamlet`، ص 133.

الأم الجديد، الذي يرى في هاملت احتمالَ عصيانٍ وتمرّدٍ، الذي يجب، إما أن يُطَوَّع وإمّا أن يُنفى أو يُقتل. ومن جهةٍ ثالثة، بولونيوس الوزير الذي يرى في بطل شكسبير مُحبًّا فاشلًا لابنته أوفيليا، مندفعًا بإحباطاته نحو الجنون. وبالنّسبة إلى هاملت، فأن يكون ابنًا مطيعًا أو عاصيًا طموحًا أو مريضًا بالحب، ما ذلك كلّه إلاّ أدوارًا عليه أن يؤدّيها بإملاءٍ من الآخرين، لكنها لا تعكس، ولا بحالٍ من الأحوال، هاملت في علاقته مع نفسه . ليست هي هاملت الذي يريده هاملت نفسُه. هكذا يستعرض ليفيرنتس الأمر في مُستهلّ مقالته.[14]

في السؤال الذي سلّط عليه د. ليفيرنتس ضوءه، سؤال برنردو الموجّه إلى فرانسسكو والذي حُسم بإرجاع السؤال إلى برناردو وإجابته عليه:

"عاش الملك"[15] "Long life the king!"[16]

ولكن، أيّ ملك؟ الملك مات. وها هو أخوه يتزوّج من امرأة أخيه ويُتوّج ملكًا!

---

[14] راجع المصدر السابق، Martin Coyle, `Hamlet`، ص 132.

[15] "المآسي الكبرى" . "هاملت"، تعريب ونقد جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986. (I.i.3) ، ص. 28.

[16] `HAMLET`, Edited by: Harold Jenkins, Thomson Learning, London, WciR, 4LR, first published in 1982 by Methuen & Co. Ltd, Reprinted 2003 by Thomson. (I.i.3), p.165.

يستعرض المقال ذلك الفصل بين الدّور الوظيفي (Role)/ الواجب عند الفرد وبين النّفس (Self)، فإن فرانسسكو في ردّه السؤال إلى صاحبه (I.i.2)[17]، لا كما تقتضي الصّداقة بل كما يقتضي العُرفُ العام، إنه بذلك قد جدّد الالتزام بالطّقس المعهود شعبيًّا ورسميًّا، وبالتالي فقد تحدّدت هوية السّائل بوظيفته وبولائه للملك، بغضّ النّظر من هو الملك وما هي المشاعر المُحيطة بتولّيه العرش.[18] ولكن، لا يمكن لمثل ذلك الالتباس في تنظيم السلوك الوظيفي المتمثّل هنا في "من يردّ على مَنْ؟"، إلاّ وأن يُدخلنا، كقرّاء، مباشرةً إلى دوّامة الهُويّات وتشوّش ملامحها.

لم ينتهِ رسم هذه الصّورة بارتباك الأدوار بين برنردو وفرنسسكو، بل وحال ظهور هوراشيو ومرسلس، تابع شكسبير رسم صورة "مناورة الإنتماءات" متلاعبًا باللغة والألفاظ:

"فرنسسكو: <...> قف، هو! من هناك؟

هوراشيو: صديقان لهذه الأرض.

مرسلس: ومواليان لملك الدّنمارك.19

يلجأ هوراشيو إلى لغةٍ شعريّةٍ فضفاضة، يُمَوَّهُ فيها القَصْدُ بعيدًا عن الوضوح والمباشرة، فيكون ضروريًّا استدراك مرسلس الذي يضرب

---

[17] `Nay, answer me; stand, and unfold yourself. `

[18] David Leverenz, `The womam in Hamlet: An interpersonal view`, p.135

[19] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.16-18)، ص. 29.

سهمه حيث يقتضيه الحذر، مختارًا الإجابة التي يُرادُ أن تُسمع لا الإجابة التي يُريد (هوراشيو) أن يُسْمِعَ.

الحقيقة أن معظم الذين حلّلوا هذه المقدّمة، قد أكلوا الطُّعم الذي أراد شكسبير أن يؤكله لهم.

فلنتابع الحوار بين الحُرّاس في بداية المسرحيّة، وسوف نلاحظ الكثير مما يستدعي الأسئلة للوهلة الأولى. هوراشيو، أكثرهم صداقةً لهاملت، ابن "الأب المغدور"، أكثر الحرّاس بعدًا عن تصديق قصّة الطّيف وظهوره اللّيلي المتكرّر.

كيف بدأت هذه القصّة، قصّة المخفي . الغائب، الحاضر في هاملت وحده؟

فلنحاول أن نلملم الخيوط:

حرّاسُ ليلٍ طويلٍ ضَجِرٍ، مُصابون بالارتباك في علاقاتهم ومُضطرّون أن يحدّدوا انتماءاتهم وولاءاتهم بطريقة يساورها الخوف والحذر من جهة، والابتذال من جهةٍ ثانية، والدّوافع غير واضحة بعد! وبعد الترحيبات مباشرةً:

> "مرسلس: قل لي، هل ظهر ذلك الشيء مرّة أخرى الليلة؟
>
> برنردو: لم أرَ شيئًا.
>
> مرسلس: يقول هوراشيو، إنّه وهمٌ منا ليس إلاّ، ولن يدع التّصديق يسيطر عليه بصدد هذه الرؤية المُخيفة، التي رأيناها مرّتين.
>
> <...>[1]

علينا ألاّ ننسى أن شكسبير يكتب مسرحيّةً لا تأريخًا لأحداثٍ حقيقيّة، ولعبةُ التّورية هي لعبة المسرحيّ، والأخذُ بقصّة الطّيف أو الانخطاف بها (كما يُفترض، ربما، لجمهور المسرح) ليس شأن النافذ إلى أعماق اللعبة الفنيّة في المسرحيّة.

لنحاول أن ننظر إلى المسألة بطريقةٍ ستعيننا على فهم الكثير من محاور المسرحيّة على نحوٍ مختلف:

أولًا، مرسلس يحاول أن يقول شيئًا، أو يوصل رسالةً، أو، بأضعف الإيمان، يحاول قتل الوقت بحديثٍ لا يستطيع أن يبوح به مباشرةً فيلجأ إلى التّورية (ناهيك عن أن ذلك يخدم فنيّة الكتابة المسرحيّة الرّفيعة عند شكسبير)، وقصّته تتركّز في التّذكير بالملك السابق وظهوره الخُرافي الذي لا يصدّقه أحد ممن معه. لماذا؟ وما هي دوافعه؟

برنردو، الذي أجّل إعلانه الولاء للملك في مُستهلّ المسرحيّة، وفضّل أن يجيبه فرنسسكو أوّلًا عن هذا السؤال، برنردو هذا، والذي تحددت هويّته بـ "غير المُندفع (متحمّس) إلى الولاء" منذ البداية، هو نفسه يؤكّد أنه لم يرَ شيئًا (I.i.25)، وهوراشيو يُصرّ على إظهار عدم إيمانه بالفكرة: "لا، لا. إنّه لن يظهر" (I.i.33). ففي هذه الأجواء المُخابراتيّة المُتوجّسة يُلقي "اللاّ-إفصاح" بثقله، ويُسْمَعُ الصّمتُ المُحتَجِبُ خلف النّفوس أكثر مما تُسمَعُ أقوالهم الصّائتة.

هناك ملامح تشير إلى أنّ الكذب في القصّة وإلى أن عنصر "التّسلية" والرّغبة في "السَّوْقِ في الرّواية" حاضران في جلسة الحرّاس هذه. فما الذي جعل برنردو (الذي لم يرَ شيئًا) يخاطب هوراشيو فجأةً (وكأن أحدًا غمز له)، ويقول له:

"برنردو: اجلس قليلًا
ولنهاجم مرّةً أخرى أذنَك
التي حصّنت نفسَها إزاءَ روايتنا،
ما رأيناه ليلتين متعاقبتين."[20]

لماذا يحتاج الصّادق أن يؤكّد مرّتين، مرّة على لسان مرسلس ومرّةً على لسان برنردو، أن ما حدث تمّ على ليلتين متعاقبتين؟!

أما ما حدث بعد ذلك مباشرةً، و"تصديق" هوراشيو للقصّة، بل ومساهمته في نسج بقيّة خيوطها، ودخوله على خطّ الحديث، فله ما يبرّره، (بالإضافة إلى البعد الفنّي. الشكليّ في بناء المشهد المسرحي)، فلقد فهم "الحرّاس" (ربّما من النظرات والنّبرات) شيفرة الرّواية المُختَلَقة، وفرصة التّقنّع بها والاحتماء خلفها لقول ما لا يُمكن قوله علنًا بلغةٍ صريحة!

من الصّعب، بعد ذلك، فهم العبارات التي تستطرد في وصف الطّيف ودعوته للكلام خارج إطار السّخرية وحبك خيوط اللعبة والسَّوْقِ فيها.

---

[20] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.34-36)، ص. 29.

فها هو ذا يبدأ بالإفصاح عن أشيائه من خلال الإسقاط المتواري خلف حُجُبِ الطّيف/ الرّمز الغامز:

"هوراشيو: <...>
حتى الدّرع كان كذلك الدّرع الذي لبسه
عندما نازل ملك النرويج الطّامع،
وهكذا عبس مرّةً، في أثناء مداولةٍ غَضْبَى،
إذ هوى على رأس بولونيّ في مزلقته على الثّلج.
<...>"[21]

وها هو مرسلس، يعيد ويؤكّد المرّتين السّابقتين للظهور، ويُضيف ملمّحًا:

"مرسلس: مرتين في أثناء الخفارة سابقًا
ثم في هذه الساعة بالضّبط،
جاءنا في خيلائه العسكريّة."[22]

وقبل أن تأتي أسئلة مرسلس حول أسباب "الحراسة الدّقيقة الشّديدة"، والمدافع النُّحاسيّة التي تُصبّ كلّ يوم، ومُعدّات الحرب التي تُشترى من الخارج، و"اللجاجة من بُناة السّفن الذين لم يعد جهد عملهم المُضني يميّز بين الأحد وسائر أيّام الأسبوع"، الخ..[23] قبل أن تأتي أسئلته لتوضّح

---

[21] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.63-66)، ص. 31.

[22] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.68,69)، ص. 31.

[23] أنظر المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.73-82)، ص. 31,32.

خلفيّة هذا الحوار ودوافعه، تُسبِّق عبارة هوراشيو التنبُّؤيّة (أو ربما التحريضيّة):

"هوراشيو: <...>
إن في هذا ما ينبئ بانفجارٍ غريب في
دولتنا."[24]

في إجابة هوراشيو على أسئلة مرسلس بداية لتحديد هُويّة الطّيف الأولى، من وجهة نظر رجاله ورجال الملك عمومًا.

جاءت قصّة فرتنبراس Fortinbras ملك النّرويج (I.i.84-107)، بدءًا، لتوضّح أن الطّيف (والد هاملت)، هو السّبب في كلّ هذه الحروب:

"برنردو: أعتقد أن هذا هو الدافع دون سواه.
فأرجو أن يكون فألًا طيّبًا مجيء هذا الطّيف المليء بالمعاني. في أثناء خفارتنا، مسلّحًا في شبهه القويّ للملك الذي كان ولا يزال السبب في هذه الحروب."[25]

يستمر برنردو في لعب الدّور الذي يستفزّ، بسخريته وتهتّكه، هوراشيو على الإفصاح، وفي إفصاح هوراشيو تتشكّل ملامح الطّيف الأولى وهويّته:

---

[24] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.72)، ص. 31.

[25] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.111-114)، ص. 33.

"هوراشيو: إنّه لقذى لمضايقة عين البصيرة."[26]

هكذا يردّ هوراشيو محدّدًا موقفه من الطّيف، راسمًا له أماراته الأولى.
وفي تصعيدٍ مشوّقٍ للعبة التواري خلف الطّيف والإفصاح عمّا "لا يجب" الإفصاح عنه، في هذه الاستطرادات تتشكّل الهُويّات وتُخلقُ الملامح، في لعبة التّواتر بين الحاضر المُحتجب وبين الغائب الذي أضحى الحضور الأكثر وقعًا وتأثيرًا في وجدان هاملت وتحوّلاته عبر هذه المأساة.
هذه العلاقة بين رجال الملك الغائب وبين ما ينتظرهم عند طلوع النهار، هؤلاء الذين يتحرّكون ويفعلون ليلًا، في هذه المساحة المُعتمة التي لم تتبيّن ملامحها بعد، يرسمون ملامح الصّامت الغائب بعنفهم وهَزئهم الخبيث تجاهه:

" (يدخل الطّيفُ ثانيةً)
ولكن صمتًا. انظرا، إنه يجيء ثانيةً.
سأجابهه ولو حطّمني. قف أيّها الخيال!"[27]
<...>
"مرسلس: أأضربه برمحي؟
هوراشيو: أجل، إن لم يقف.
<...>

---

[26] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.115)، ص. 33.
[27] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.128,129)، ص. 34، (الحديث لهوراشيو)

مرسلس: لقد خرج.
إننا لنسيء إليه، إذ نقابله بالعنف
وهو على ذلك الجلال.
فهو كالهواء لا يُطعن،
وكلّ ضربةٍ منا باطلة، إنما هي هَزءٌ خبيثٌ."[28]

إذن، فإن هذه "الروح الآثمة" (I.i.159)، والتي (يجب) أن "تتلاشى مع صياح الديك" (I.i.162)، لأنها "اللا-إفصاح" ولأنها "الصّمت" وما "يُرادُ له أن يُحتجَب"، هذه "الروح الهائمة إلى سجنها" (I.i.158)، تتحدّد أهم خصالها ومكوّناتها الدّراميّة في كونها "صَمتٌ لا يُفصح" بمكنوناته إلاّ لهاملت:

"هوراشيو: <...>
إنّ هذه الروح التي
تصمتُ لنا ستنطق له."[29]

بهذه العبارة تُفرز هويّات الرجال، ويمتاز هاملت بقدرته على "الإصغاء" و"إدراك" الطّيف، وهو ما لا يتوفّر لسواه في هذه القصّة. المأساة. فكيف

[28] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.143-151)، ص. 34.
[29] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.175,176)، ص. 36.

نفهم ذلك؟ ومن هو هاملت في ضوء هذا الوصف؟ وكيف تؤدّي الاستجابة القائمة على الإصغاء المستمر إلى تفكيرٍ فعّالٍ دائم؟
كيف يتفاعل "فكرٌ يُنْصِتُ إلى الوُجود" مع "فكرٍ يسعى للسيطرة على المَوْجُود"؟
إذن، ومنذ البداية، يبدو مهمًا لشكسبير تحديد الهويّات والملامح من خلال تثبيت الانتماءات. فما عدا هوراشيو، الذي تتحدد هويته كصديق لهاملت، يبقى الآخرون: برناردو، فرنسسكو ومرسلس، محصورةً هُويّتهم بكونهم رجال الملك، وليسوا بأصدقاء. ولكن، هذه الحاجة إلى تأكيد الانتماءات وحصرها، هي بالتّحديد ما يُشير إلى أزمة هويّة وأزمة انتماءات في صُلب التراجيديا الهاملتيّة وخاصّة في لحظة تَطْرُقُ فيها هذه الأزمة أبواب هاملت ووجدانه. هنا يُصبح سؤال الهُويّة هو السؤال عن علاقة الإنسان بالوجود؛ هاملت، في تمثّله الوجودَ وفي إصغائه لندائه، إنما يطرح سؤال الوجود، ففي حين أن هناك، من رجال السلطة، من يعتنق، في خطابه المُعلن، "الميتافيزيقيا" بوصفها "نسيان الوجود"، يُصبح هاملت في مواجهاته مع هذا الخطاب "ذاكرةً للوجود" وانكشافًا ما له؛ إنه، إن جاز التعبير، الوجودُ يسائل الوجودَ.

في انبلاج أسئلة الهويّة وترسّخ طابعها اللانهائيّ وتحوّلاتها داخل شخص هاملت دون غيره، وفي تميّزه عن سواه بأنه ليس مجرّد وعاءٍ في انتظار ما

يُصَبُّ به ليأخذ شكلًا وطابعًا، بل في أنّه يشكّل تراكمات احتمالات وانفتاح على أسئلة لا تحتمل الحتميات في بحثها وسعيها، مما يفسّر إمكان تحقُّق حضور الغائب فيه هو تحديدًا.. كل هذا يجعلنا نتساءل عن علاقة الهُويّة بالفردانيّة، أو الهويّة بوصفها أولًا وأخيرًا فردانيّة![30]

"بكون الفردانيّة فردانيّة تراكُمِيَّة متحوّلة فهي مفتوحة من أربع جهاتها على أوسعها، أي أنها تتحرّك. تجسّد لا إغلاق، وبهذا فإنّ حركتها كونيّة... لا زمانيّة لا مكانيّة. لا زمانيّة لا مكانيّة حركة الفردانيّة تتضمّن الغياب بمعنى إضافيّ:

_ حضور ما ليس من الممكن أن يظهر."[31]

أَوَلا يُحيلنا هذا الكلام إلى فهم طبيعة العلاقة بين هاملت والطيف، والتي هي في صلب فهم تداعيات هويّة هاملت الابن ووجدانه؟[32]

---

[30] راجع جمال ضاهر، "فردانيّة الهويّة واللغة"، مقالة فكريّة، "مدى آخر"، مجلة فكريّة ثقافيّة، تصدر عن مركز مدى الكرمل، حيفا، العدد الثاني، صيف 2006.

[31] جمال ضاهر،"فردانيّة الهويّة واللغة"، ص12.

[32] سوف نُفرد لهذه العلاقة مساحاتٍ واسعة في فصولٍ قادمة.

اللاّمُنتمي

منذ اللحظة الأولى لظهور هاملت، عرف شكسبير كيف يحدد ملامح بطله ويضعنا، وجهًا إلى وجه، متلهّفين، أمام ضياعه، وأمام وُجدانه المُضطرب وهويّته المتشظّية ولغته القلقة.

ها هو هاملت، المُتنحّي جانبًا (حسب إشارة شكسبير) يعرّف نفسه، في أوّل ظهورٍ ناطقٍ له، يقول:

"أقربُ من القربى وأبعدُ من الخَلَفِ"[33]

`A little than kin, and less

than kind`[34]

وكأنه بذلك يقول: أنا حضور الغياب وغيابُ الحضور في آنٍ معًا. أنا اللاّ-انتماء. أنا اللقاءُ المُرتجف بين الصّوت والصّمت . بين المُفصَح عنه واللا-مُفصَح عنه. أنا "التّولّدُ الذّاتيّ".[35]

---

[33] جبرا ابراهيم جبرا (عرّب وقدّم)، "وليم شكسبير، المآسي الكُبرى..."، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1986، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 39. (العبارة الأولى التي ينطق بها هاملت في المسرحية).

[34] Edited by Harold Jenkins, `HAMLET`, Methuen & Co. Ltd, first published in 1982, reprinted 2003 (twice) by Thomson Learning, London WC1R 4LR.

بين أبٍ حقيقيّ محكومٍ بالغياب، وعروضٍ أبويّة مُغرِضَة يتشظّى هاملت. الواجب البنويّ يُناديه من أطرافٍ تتنازع مصالحها وتتضارب. فمن جهة، ها هو كلاوديوس يخاطب هاملت، يعظه ويطالبه بأشياء وأشياء باستخدامه عباراتٍ كمثل "الواجب البنويّ" `..filial obligation..` (I.ii.91)، وتأثيرها، وها هو الطّيف، الأب الحقيقيّ، وهو لا يشعر بالحاجة إلى الكثير من الكلام والشّرح والاستطراد كما هو حال

---

[35] الترجمة مستعارة من كتاب محمد شوقي الزين، "تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، الطبعة الأولى 2002. (وعبارة "التولّد = الذاتيّ" أو subjectivation، وردت في الفصل الثالث بعنوان: الحياة كأثر فني فيما وراء المعرفة والسلطة، ص 151).

"بناءً على أثر فوكو، يقرأ دولوز <جيل دولوز> مسارات تجاوز الثنائيّة المعرفة والسلطة كمسارات التولّد الذاتي subjectivation. وراء الرؤية والتعبير وتشابكهما ووراء علاقات القوى وتداخلها هناك مسار "التّدبير". إذا كانت المعرفة تقتضي التفاف المرئي والمنطوق، وإذا كانت السلطة تستدعي تأثير القوى في بعضها البعض، فإن التولد الذاتيّ يستلزم تأثير القوّة في ذاتها، انثناء مزدوجٌ يتخلّص من أشكال المعرفة ويقاوم علاقات القوى. هدم مفهوم الذات والإعلان عن موت الإنسان كما أقرّ بهما فوكو في أثره، لا يعني الرجوع إلى الذات وبناء نظريّة في تماسك الذات وتجانسها <...> وإنما فحص شظاياها المتناثرة وأوجه تأثيرها في ذاتها. ليس هناك (ال) ذات وإنما ذوات متعدّدة تتكلّم في الوحدة المركّبة نفسها. التعدّد يتكلّم في الإنسان. فالتولّد الذاتي لا علاقة له بالذات، إنه نمطٌ مركّزٌ في بؤرةٍ يبدع الوجود كأثر فنّي وكمُمْكِنات حيويّة وإمكاناتٍ خلاّقة. فهو "فن الممارسة الذاتية" أو "التدبير الذاتي" كقواعد اختيارية تقيّم الفعل والقول تبعًا لنمط الوجود الراهن، وهو أيضًا صيغة جمالية تؤسس أساليب في الحياة وأنماط في الوجود". (نفس المصدر، ص 151، 152)

كلاوديوس أخيه، فهو واثقٌ بشرعيّة أبوّته ووهج سطوتها وتأثيرها على هاملت؛ إنّه يختصر في الكلام مُعوّلًا على رصيده الكبير في الأبوّة: "أنظر إليّ" (I.v.2) `Mark me`، هذا كل ما يحتاج أبٌ لا يُشكّ في أبوته ليقوله لأبنه، ودون الحاجة إلى النّطق بما تحمله هذه العبارة من معاني مُتَضَمَّنة فيها، فهل يقول الأب لابنه: أنظر إليّ. أنا أبوك. وأنت ابني. وهناك واجباتٌ.. الخ؟! وانطلاقًا من هذا الشّعور بالسّطوة الأبويّة الذّكوريّة يأمر الأبُ ابنه هاملت أمرًا ولا يطلب منه طلبًا: "مُلزمٌ أنت بالانتقام، حالما تسمع" (I.v.6) `So art thou to revenge when thou shalt hear`، ومن جهة ثالثة، هناك أبُوّة بولونيوس التي يتحصّن بها يمينًا ويسارًا في معاركه ضدّ هاملت التي يخوضها بجبنٍ عبر عِظاته لابنته أوفيليا (I.iii.101-135).

أين هاملت من كلّ ذلك؟ كيف يتوالد وكيف يتدبّر في اثّناءٍ[36] مُزدَوَجٍ، عليه فيه أن يتخلّص من أشكال "المعرفة" و"الحقائق" المُعلنة من كلا الطّرفين، هذا من جهة، وأن يُقاوم علاقات القوى وتأثيرها في بعضها، متجاوزًا ذلك إلى "فهمٍ ما" لطبيعة تأثير القوى في ذاتها داخل ذاته المتجزّئة، هذا من جهةٍ ثانية؟

[36] اثّنى = انعطف وارتدّ بعضه إلى بعض.

على سبيل الافتراض، لم يكن أمام هاملت سوى طريقين لينهي معهما أزمته: الطريق الأول في "الانغلاق على الذات"، حيث يُقيم الطّيف، في بصيرة هاملت ووُجدانه، وحيث يشكّل ذاتًا من ذوات هاملت، وبذلك يُطيع هاملت هذا النداء وحده، ويُصغي إلى هذه "الحقيقة" المتعاليّة، الاسترجاعية والمُقيمة في الماضي، من حيث هي الأب الغائب . الميِّت، والمُقيمة في البُعد الاجتماعي للقيم الجاهزة والموروثة المتمثّلة، هنا، بالانتقام وطاعة الأب وغير ذلك.. في هذا "الانغلاق على الذات"، والتّصالح مع هذه الذّات، حَلٌّ ما، مؤدّاه الانتقام. هذا الخيار كان قائمًا (كلاوديوس المُصلّي وتذرّعات هاملت بتأجيل الانتقام...)، لكن هاملت دفعه بعيدًا تحت ذرائع، هاملت نفسه لا يصدّقها. فما هي الدّوافع الحقيقيّة للتأجيل؟ سنتعرّض إلى ذلك بتعمّق فيما بعد، وسنُفردُ فصلًا خاصًّا لمناقشة مماطلات هاملت، ولكن، وما لا شكّ فيه أن التّحليلات كلّها لن تبدأ إلاّ انطلاقًا من فهم التعقيدات في بناء وفي ديناميّة هُويّة هاملت.

أما الطّريق الثاني، ففي "انفتاح بلا ذات"، وربما يقود ذلك إلى الانتحار بوصفه يؤدّي إلى الموت الذي هو مصير كل موجود وكل إنسان، وهذا الخيار أيضًا كان واردًا في ذهن هاملت، ولكنّه غاص في دائرة المماطلة كذلك.

هاملت، إذن، لم ينغلق تحصينًا لـ "ذاته الوحيدة"، كما أنه لم ينفتح مُتخليًّا عن "ذاته الوحيدة" بوصفها "الوجود الأصيل. صوْبَ. الموت"[37].

لقد "اختار" هاملت، على ما يبدو طريقًا ثالثًا، بعيدًا عن أيّة حلولٍ سريعة متحيّزة، بعيدًا عن الانغلاق في سبيل ذاتيّةٍ متعالية، وبعيدًا كذلك عن ضرب الذَاتِ، بوصفها الذات الوحيدة والتعبير الأوحد عن الوجود الإنسانيّ، بعرض الحائط.

فمن هو هاملت إذن؟ ما هي هويّته ضمن هذه التّعقيدات؟

من الصّعب فهم "ذات" هاملت على أنها ذاتٌ مستقلّة، متعالية، لا مرجعيّة لها، حاضرة بذاتها ولذاتها. ومن الصّعب، كذلك، أن نخوض في أيّ تحليلٍ لهذه الشّخصيّة التي عقّدتها الأحداث وتشابكت في السّرد، دون أن نرى فيها ذاتًا. نسيجًا، ووحدةً طباقيّةً تتشابك فيها وتتعدّد ذوات الآخرين بصراعاتهم وتناقضاتهم؛ الآخرين، الغيبيين. الاستلابيين، أولئك الذين نسَوا هاملت في إصغائه للوجود وفي إنصاته للحقيقة بوصفها انكشافًا وسيرورةً. هؤلاء لم ينسَوا هاملت بحكم التقصير أو الإهمال، ولا كذلك بحكم الخطأ، ولكن يعود "نسيانهم" إلى كونهم يعتبرون هاملت مسألةً "مُفصَحًا عنها"، يمكن ضبطها ويمكن الحكم فيها، فهو، أي

---

[37] التعبير لهايدجر والذي يرى فيه الأساس الخفيّ لتاريخيّة الآنيّة، مجرّدًا الوجود عن بعده الاجتماعي (بحسب نقد ريكور له).

هاملت، بما هو "مُفصَحٌ عنه" فإنّه "حَمْلِيٌّ" في هُمومه وقضاياه، مما يمكّن حصرَه وضبطه في صُورٍ منطقيّة يمكن قولها وإدراكها.
من هنا، ارتبط خطاب "الاستلابيين" بـ "العقل" و"العقلنة" باعتبارها Ratio، كما ارتبط خطابهم بالملفوظ الحقّ وبالقول الصّواب وبالإرجاع المتعالي وبإقامة حقيقة الموجودات على جملة من المُلصقات (الكليشيهات) مثل "الطبيعة"، و"الحكمة السماوية" وغيرها مما يستند إلى الفكر الغيبيّ اليقينيّ، ما "يُمكّن" من التحكّم والتسلط على الكائن . الإنسان وفيه.
إنّ التّكلّم باسم هذا "الوجود الحقّ"، مؤدّاه شَطرُ هاملت، في إصغائه للوجود، إلى شَطرين "متناقضين": عالمٌ حسّيٌّ مُتَسَبَّبٌ به (Causa-sui)، وعالم فوق حسّيّ يُشكّل إزاء ذلك السّبب الأول (Causa-prima)، وسوف نأتي إلى شرح هذه الفكرة، كذلك، فسوف نفحص آليّة لجوء هاملت إلى الجنون ضمن فهمنا لاقترابه من الوجود وإصغائه له، الوجود الذي يمكّن من الإفصاح دون أن يُفصح. الوجودُ الخَرَسُ المتكلّمُ. الوجودُ الصّمتُ الصّائتُ. الوجود الذي يمنح المعاني دون أن (يتَمَعْنى). الوجودُ اللاّمَعنى. الوجودُ الذي هو، ربما، في آنٍ معًا، العَدَم المُنسحب والمتواري. الوجود، لا بمعناه الأفلاطونيّ الأرسطيّ كمرادفٍ لـ "الأوسيا" أو حضور المتناسق، بل، ربما، بمعناه الإغريقيّ القديم بوصفه الـ "فيسوس" بما هو

انفتاحٌ وانكشافٌ. الوجود بمعناه الجلقامشيّ: الوجودُ البحثُ، الوجودُ السّؤالُ والوجودُ الارتياب والقلق.
في السؤال عن القول المنطوق، وفي البحث عن الصّوت اعتناءٌ بالموجود.
في السؤال عن الصّمت والمتواري اعتناءٌ بالوُجود.
في هذا الاختلاف نقطة انطلاقٍ لبحث سؤال الهويّة عند هاملت، في الحفر داخل الصّمت، متجاوزين المقولات الميتافيزيقيّة المعنيّة بالمَنطوق والمُفصَح عنه . الصّوت، والتي مؤدّاها أن الإنسان "حيوانٌ ناطقٌ"، بل نحو الإنسان بوصفه "حيوانًا صامتًا". وبعيدًا عن الأساليب الطّرديّة النّابذة (Centrafugal)، ومؤدّاها رفعُ الصّوت والتأمّل انطلاقًا من "الكلمة"، بعيدًا عن "في البدء كان الكلمة"، وبدلًا عن ذلك، اللجوء إلى الأساليب الجاذبة (Centripetal)، ومؤدّاها الصّمت والعزوف عن "الكلمة".
الصّوتُ؟ أليسَ هو نسقٌ ما، في حين أنّ الصّمت هو اللاّ-نَسَق، أو ربّما هو "الجنون" إزاء هذه اللجّة من الـ "عَقْلنة"؟!

فيما تكمن هُويّة هاملت إذن؟ وكيف نبحث عنها في خضمّ لا-إنتماءاته (أو لنقل، انتماءاته المتحوّلة أبدًا)؟ كيف نصغي معه إلى الوجود. العدم؟ وكيف نحدّد معناه، هو المُنصتُ بعمقٍ إلى اللامعنى؟

حضورُ الغياب وغيابُ الحُضور

نبحثُ عن هاملت. نجده هناك، يتراكض بين النصّ المُدَوَّن وبين الفكر الهائم في الأثير، يتأرجح بين الصّمت والكلام، يرتجّ بين التّبعثر المكانيّ . الزّمانيّ وبين الحَدْسِ، حيث الزمان والمكان مفردات غريبة، يتخبّط بين السّطحيّ الواحد وبين متعدّدٍ عميق... هناك حيث يخلخل خارج التشكيلات الخطابيّة وأنسجة المنطوقات وميادين الصّوت.

لا شكّ أن "الغياب"، بما هو "صّمتٌ" و "لا إفصاح"، يبقى مُعلّقًا في فضاء بغير استقرارٍ، مُفسحًا لماورائيّاتٍ مجالًا لتقول وتُفصح وتشغل فراغًا.
كلّ "صمتٍ" (يسعى)، في نهاية المطاف، لأن يكون "ذاتًا مُتعالية"، غير قابلة للاختزال. هذه الذّات، ذاتُ الصّمت . ذاتُ الغائب، تفترضُ حضورَ ذاتها المتعالية. هكذا، فإن في الصّمت . الغياب فُسحةً لتسويغ المعاني والحقائق التي سيؤتى بها لملءِ هذا الفراغ.
إن حضور الغائب . حضورَ الطّيف، ليس اختراعًا هاملتيًّا، منذ البداية، لكن هويّة هذا الحضور لا تتعدّى حدودًا ما إلا داخل الذّات الهاملتيّة وحدها.

الطّيف الظّاهر لعيان الآخرين من أمثال: (Francisco, Bernardo, Horatio, and Marcellus) لا يُفصح. ولهذا الحضور في ذهنيّة الآخرين دلائل. فإنّ الفراغ الذي تركه موت الملك، والذي لم يمرّ على موته الكثير من الزّمن، ما زال حاضرًا في وجدان رجاله، وربما في الذاكرة الجمعيّة عمومًا. لكن، يبقى هذا الظهور حضورًا صامتًا متعاليًا للغياب.

كلُّ صمتٍ، على ما يبدو، إنما هو صمتٌ بمقدار ما "يصمتُ عن". من هنا فإنّ الصّمت يأتي كإشارةٍ خارجيّة، خارج "إرادة القول"[38] التي ما تزال في طور السّكون، يُسندُ إليها المعنى الكامن في باطن "غير المُفصَحِ عنه . الصّمت"، وبالتالي، فإن الصوتَ/ الخارج/ المُفصَح عنه، هو ليس سوى الوعي بوصفه حضورًا؛ هو القصد المُفصح والمُعبّر عنه.
وإذا ما اكتفينا بهذا، فإن المسافة بين "إرادة القول" و"القول" باتت واضحة للوهلة الأولى، هذه المسافة البرزخيّة المرتجفة بين أقطاب النّقائض أو المختلفات، هي جانب هام في شخصيّة هاملت، بكلّ ما في البناء الفذّ لهذه الشخصيّة من ديناميّة وتحوّلات ونزعة رفضٍ ومقاومة؛ بكلّ ما فيها من تراجيديّة أن تكون إنسانًا في أكثر الظروف لا إنسانيّة.

---

[38] المصطلح مستعارٌ من كتاب محمد شوقي الزّين، "تأويلات وتفكيكات، فصولٌ في الفكر الغربيّ المعاصر"، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء. المغرب، الطبعة الأولى، 2002.

الصّوتُ/ "الدّالُّ" لا يُشير بالبنان إلى الصّمت/ "المدلول" إلا من حيث هو طمسٌ ما لحقيقةٍ تأبى طبيعتها الانكشاف، فلا انكشاف دون المرور عبر المسافة المرتجفة (متمثّلةً بشخص هاملت)، وبالتالي، لا انكشاف دون تحوّل، فالدّائرة التي تبحث عن مركزها، عليها، كي تلاقيه، أن تنحرف، لكنّها، حين تنحرف ستكفّ عن أن تكون دائرة.

"إن الحريّة من حيث هي ترك الموجود يوجد هي في ذاتها علاقة منفتحة وغير مُغلقة على ذاتها. وهذه العلاقة هي التي يتأسس عليها كلّ سلوك ويتلقّى منها التوجيه بأن يسلم نفسه للموجود ولانكشافه. من ثمة تختفي مع الاختفاء هذه العلاقة هي ذاتها لأنها تهيّؤ لنسيان السر كما تختفي في هذا النسيان."[39]

الصّوت إذن حجابٌ. لكنّ الحجابَ إذ يُخفي، فهو إقرارٌ أو إعلانٌ ما عن وجود المخفيّ.

الصّوتُ/ الحجابُ لا يُخاطبُ سوى الخيال، وكلّ ما ينجم عن ذلك هو ليس "الحقيقة"، بل أُخَيْلاتها وحسب.

---

[39] مارتن هايدجر، "التّقنيّة – الحقيقة – الوجود"، ص 32.

الانتماء واللاّ-انتماء: جدليّةُ الإقْفالِ والانحراف

هاملت، وضمن تركيبته المعقّدة، هو تمثيلٌ ما لفكرٍ ينتابه نقص الحضور. بل وأكثر من ذلك، فهو مُثقلٌ بالغياب، لا يعبّر عن نفسه بالكلمات الصّائتة، لكن يُبحث عنه في لا-مَنْطوقيّته، بين خَرَسِ الأصواتِ وسجلاّتِ "الجنون"، أو فيما يفلتُ، أو يُطلّ مُقاومًا من ثقوب نسيج الخطاب الاستلابي المُتَعقْلن. هذا الخطاب الذي يجدُّ مهمومًا، في صناعة وجهٍ للحقيقة، في حين أنّ لا وجه للحقيقة، لها كلّ الوجوه. وهذا الخطاب الذي يسعى، في منطوقاته المطرّزة بـ "أحكام السّماء" وبـ "الحقيقة"، إلى طَمْسِ "حقائق أخرى"؛ حقائق تشيرُ (على الأقلّ لانقطاعها عن "ال" التعريف) إلى الاختلاف.

إن عمليّة الحفر داخل المنطوقات التي تشكّل الخطاب الاستلابي الذي بات هو "الحقيقةُ . المَتْنُ"، مُنطلقًا من "الموجود" ومتوجّهًا إليه، هذه العمليّة، تفسح المجال والإمكان للتحليق في آفاق "الصّمت" بوصفه "الهامش" وبوصفه "اللا-حقيقة"، بوصفه "المُحتَجِب" أو "المُحتَجَب"، وبوصفه الإصغاء إلى الوجود.

التّحليقُ في آفاق الصّمت يستدعي انحرافًا ما يُفسح المجالَ للكَشْفِ. هذا الانحراف، كما في الدّائرة، يُحوّلُ الصّمتَ عن طبيعته الأولى. وهذا الانحراف، في "هاملت"، لم يكن بلا ثمن، ولم يترك المُستكشفَ الحافرَ

المُحلّقَ على طبيعته البَدْئيّة، ولم يترك لمرجعيّاته وانتماءاته فرصةً للثبات والمكوث، بل استدرجه نحو مسارٍ متشعّبٍ من التّحوّلات، ودربٍ تُباركها الآلام والجروح، حيث الموتُ هو الثمن للحفاظ على إنسانيّة الفعل، حين تضجُّ الحياة بـ"كلمات كلمات كلمات".[40]

هذا المسار وهذه الدّرب هما في صُلب الدراما الهاملتيّة كما أرادها شكسبير. ففي حين تشكّلُ آليّات الإخفاء أو الطّمس في خطاب "الصّوت" محاولة إقفالٍ (Shutting off)، إنما، بما هي عليه من حال، تُفضي إلى طبقات الصّوت الغائب. هذه الآليّات تطمس وتُلغي بكل ما أوتيت من الوسائل المتاحة، وليس أقلّها إسقاطاتٍ جَلِيّةٍ، تُحيلُ الخطيئةُ، بواسطتها، لُغتَها وتَبِعاتِها إلى حَيّز "الجنون":

"الملكة: ما هذا الاختلاق من ذهنك.
فالجنون جدّ بارعٌ
في تجسيد ما لا جسد له.
هاملت: الجنون؟
نبضي كنبضكِ يحفظ إيقاعه المعتدل
ويصنع مثله موسيقى ملؤها
العافية. ليس جنونًا
ما نطقتُ به. امتحنيني

---

[40] المصدر السابق، المآسي الكبرى"، "هاملت"... (II.ii.192)، ص. 85.

أعِدْ رصْفَ كلمات الموضوع
ثانيّةً، أما الجنون
فيشطّ عنه. أستحلفك بنعمة الله يا أمي
ألاّ تطلي الروح منكِ بذلك البلسم
المُداهن
فتظُنّي أنّ جُنّتي، لا خطيئتكِ، هي التي
تتكلّم، <...>"[41]

وها هي وسائل الطّمس والاستلاب تتداعى في خطابٍ يُساوي "العقلَ" بالعُرفِ، في حين يُساوي الحساسيّة والرّهافة بالجُنون:

" <...>
فالعُرفُ وحشٌ يلتهمُ كلّ حساسيّة،
وهو الشّيطانُ من كلّ عادةٍ،
<...>"[42]

الحساسيّة إذن، تلك القابعة في صميم تكوين هاملت وفي أعماق ما يُراد له أن يبقى صامتًا محتجبًا. في هذه الأعماق قوّةٌ تخلخلُ كلّ ما هو راكدٌ مُطمَئنٌّ، قوّةٌ لا تخاطب السّطحَ، لكنّها مثل الشّعاع الدافئ، تتغلغلُ في

[41] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.139-148)، ص 143,144، (الحديث بين هاملت ووالدته داخل غرفتها بعد تواري الطّيف).

[42] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.163,164)، ص145، (الحديث لهاملت مخاطبًا والدته).

القاع . قاع النّفس البشريّة، كاشفةً ما قد يُثيرُ استقرارها الزّائف، لكن المُريح. هذه الحساسية/ القوّة، ربّما، تمثيلٌ لأهمّ ما تحتاجه النّفس البشريّة، المرآة:

"هاملت: هدّئي رَوْعَكِ، واجلسي. لا
تتزحزحي.
لا تذهبي إلى أن أُقيمَ لكِ مرآة
تَرينَ فيها أعماقَ نفسِكِ."[43]

أولا يؤكّد هذا الأثر قولُ الأمّ نفسُها في خضَمِّ اعترافاتها:

"الملكة: كفى بربّك يا هاملت!
إنّكَ لتسدّدَ عينيّ إلى أعماق نفسي
فأرى هناك بُقعًا سوداء عميقة
لن تُفارق لونها"[44]

وفي اعتراف لاحقٍ كذلك:

"الملكة: كفاك كفاكَ،
ألفاظك هذه كالخناجر تنفذ إلى
أذنيّ."[45]

---

[43] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.17-19)، ص138.

[44] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.88,89)، ص141.

[45] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.94,95)، ص141.

لكنّ مصير الخطاب الزّائف المتمتّع بعيشة السّطح وأنساقها المنمّقة بعناية، حين يُواجَه بالحقيقة الأخرى عاريةً، مثله مثل الكثير في هذه التراجيديا الإنسانيّة، مصيره الصّمت:

"الملكة: إن تكن الألفاظ من النّفَس
والنّفَسُ من الحياة، ثِقْ أن ليس فيَّ حياة
لأتنفّس ما قلته لي."[46]

لكن، أيّ صمتٍ هنا نتكلّم عنه؟ صمتٌ آخرُ. صمتُ الضّعيف والواهم، صمت العاجز عن مواجهة منازعته أمام الحقيقة ولحظة الصّدق:

"الطّيف: <...>
ولكن انظر، اقتعدَ الذّهولُ أمّكَ.
فاخط بينها وبين نفسِها المُنازِعة.
فالوهم قويُّ الفعل في البدن
الضّعيف."[47]

---

[46] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.199-201)، ص146.

[47] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.112-114)، ص142.

الصّمتُ هنا رَديفٌ لـ "الخلخلة"، ولصيقٌ بها. فإنّ عُريَ الحقيقة التي طالما سعينا إلى إجحادها وطمسها، لا مجال أمامه إلاّ أن يشطرَ الطُّمأنينةَ ويُهشّمَ الأقنعة:

"الملكة: آه هاملت، شطرَيْن شطرت قلبي."[48]

في طبيعة "المسكوت عنه"، وفي جوهر الصّامت الغائب فقط، وفقط لمن له عينان ليرى، يتكشّف هذا "الوُجودُ المُمَوَّه":

"هاملت: انظري إلى هذه الصّورة، وإلى هذه،
حيث الوجود المموّه لأخوين إثنين. "[49]

<...>

هذا هو زوجكِ، كسنبلةٍ عَفِنة،
يرزأ سليمَ أنفاسه. ألكِ عينان؟
أتُمسكين عن الرّعي في هذا الجبل
الجميل المنسيّ على هذه القاع البوار؟
ها؟ ألكِ عينان؟[50]

---

[48] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.158)، ص144.

[49] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.53,54)، ص139,140.

[50] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.63-67)، ص140.

في الصمت وحده، في الفراغ، فيما لا يُسمَع ولا يُرى، هناك فقط تكمن "حقائق" ما يتطلّع إليها من يمتلك موهبة القلق ورجفة السؤال مثل هاملت، ففي حديث الملكة الأم (الذي تبدو معانيه مُباشرة للوهلة الأولى) إبنها المهووس بالطّيف، ما هو أبعد بكثير من مُنْحَصَرِ المُباشرة أو التّعلّق بالحدث العيني؛ إنها تؤكّد، في عجزها عن فهم شوق ابنها للحقيقة، وفي عجزها عن الإصغاء إلى "الصّمت"، أو قراءة "الفراغ".. إنها تؤكّد أن الذي ينظر إليه هاملت بعيد المنال عن أبناء العُرف والتّحْدار، فاقدي الحساسيّة والرّهافة:

"هاملت: كيف حالكِ يا سيّدتي؟
الملكة: واأسفاه، كيف حالكَ أنت؟
تركّز عينيكَ في الفراغ
وتناقش الفراغ الذي لا جسد له.
روحك تطلّ هوجاء من عينيك،
وكالجنود النّوام يفاجؤون بالإنذار.
شَعرُك الرّاقد يستفيق وينتصب.
بُنَيَّ العزيز
رُشَّ بردَ الصّبر على لهيب اضطرابك.
ما الذي تنظر إليه؟"[51]

---

[51] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (III.iv.116-124)، ص142,143.

ما الذي ينظر إليه هاملت؟ يبقى السؤال مفتوحًا، والبقيّة صمتٌ وسكون.

ذواتُ هاملت

الحريّة الثقيلة. "كنيسةٌ" على ظهر هاملت "الصّخرة"، ورُغم كلّ المحاولات في خطاب "الخُلاسيّين" (أو من أسميناهُم سابقًا بالسّلابيّين)، للإيحاء بأن هذا الحِمْل من شأن "الفَوْق إنسانيّ" وحده، في محاولاتٍ مَستديمة لطمس "حَقائق"، بما هي عليه من انقطاعٍ عن أيّة "الـ"، وبما هي عليه من تعدّديّة وكّثْريّة، وذلك لحساب "الحقيقة" الواحدة المُعرّفة بالمُطلق المُتيقّن.

ما هو شرط هذه الحريّة؟ كيف تتحقّق في سلوك هاملت ووعيه؟

فيما نحن نتابع نصّ شكسبير، نلاحظ أنّ "انفتاح" شرطُ الحريّة، متمثّلًا ذلك، وفي إطار "اللقاء الهاملتيّ" مع الطّيف، في مدى إتاحة الفُرصة للطّيف . الاحتجاب، من قِبل هاملت، بأن يكون، دون المساس به، مما يعني أن "نعرض أنفسَنا أمام الموجود كما هو، وأن ننقل سلوكَنا كلّه إلى مجال المُنفتح".[52]

[52] مارتن هايدجر، "التّقنيّة – الحقيقة – الوجود"، ص 24.

هذا الانقياد خلف الطّيف دون محاولة التّدخّل في حقيقة أو حريّة وجوده، يعني منحه الفرصة لأن يكون "مُفصِحًا" بدل أن يكون "صامتًا"؛ هكذا يرى هاملت إلى تكشُّفِ الـ حقائق عبر "ترك الموجود يوجَد".[53]

إلاّ أن للطيف هنا حالته الخاصّة به، فإنّه لا يُجدي التعامل مع حضورِ احتجابِهِ إلاّ بواسطة "الإدراك" الصّامت:

"امنحوه إدراككم لا اللسان"[54]

هل انطلت "توريةُ الطّيف" على هاملت أم لا، هذا أمرٌ لن يهمّنا كثيرًا، ويبقى بالنسبة لنا في حيّز المسائل الفنيّة، إلاّ أن ما يهمّنا هو أن هاملت قد استفاد من الفكرة (أو ربّما أنه كان صاحبها منذ البداية)، وأخذ يوجّهها في اتّجاه رياحه ويتعايش معها متى تطلّب الأمر ذلك.

الطّيف إذن موجودٌ في بصيرة هاملت لا خارجها:

"هاملت: <...>
أبي. أظن أنني أرى أبي.
هوراشيو: أين يا سيدي؟
هاملت: في بصيرتي."[55]

---

[53] التعبير لمارتن هايدجر.

[54] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.ii.250)، ص 48.

[55] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.ii.185)، ص 44.

إذن، فسوف نفهم من هنا، ربما، أنّ قابليّة الانكشاف هذه، ليست صفةً موضوعيّةً للطيف إلاّ بمقدار ما هي جزءٌ من حقيقة هاملت وآليّته الذّهنيّة؛ ها هي سمات هاملت تتساقط متكشّفةً مُشكّلةً هُويّةً جديدة للطّيف، بدأت تأخذ دورها في مُعترك الدراما الشكسسبيريّة، منحرفةً عن مسارها الأوّل الذي صوّره لنا حُرّاس القلعة. هذه القابليّة للانكشاف والقابليّة للنّطق عند الطّيف مشروطةٌ بإدراك هاملت وفاعليّته، ولكن لماذا لا يمكننا القول، كذلك، إنها مشروطةٌ بلعبة المصالح، وهي لعبة الألعاب في هذه الدراما؟!

حسنٌ، ولكن كيف نفهم "حريّة" هاملت بين تواترات إكراهات الطّيف وإصراره على تفعيل هاملت نحو الانتقام، وبين محاولات قمع خطاب السلطة لـ "أصوات" هاملت المتستّرة خلف حُجُبٍ وأقنعةٍ متعددة؟ وهل لمقدار ما تُفسحه من مجال أمام الطيف كي يكون كما هو مُطابقًا للأصل أن يشكّل معيارًا لرصد مدى كَوْن هذه الحريّة "حريّة فاعلة" أو "حريّة خاملة"؟ ولكن، ربما أن السؤال الأهمّ هنا، فيما أن يكون انفتاحُ هاملت المُفسحُ، بإدراكه الذّاتيّ، للطّيف أن يكون، من غير ثمنٍ يُذكر؟ أليست تحوّلات هاملت ومصيره التراجيديّ، أليس هذا كلّه يشكّل ملمحًا من ملامح لعبة الانعكاس المتبادل لـ "طبيعة" أو "ماهيّة" هذا الطّيف العجوز/ الهاملت الشاب، (وبلغة المصالح: الوريث)، في آنٍ معًا؟

كيف نفهم، كذلك، حقيقة الطيف. الصّمت والطّيف. الاحتجاب خارج إفصاحات هاملت عنه ضمن آليّة الاسترجاع المنوطة بإدراكه هو؟

لنتّفق إذن أن الطيف غير موجود خارج عمليّة الاسترجاع المتكرّرة له من قِبل هاملت، وفي أشكال إفصاحه عنها تخصيصًا. ولكن، إلى أيّ مدى يمكن لهاملت أن يكون مُحايدًا في معمعة استرجاعاته للطيف واستنطاقات صمته الذي "حُرّمَ البَوْحُ بأسرار(ه)... لآذانٍ صُنعت من اللحم والدم"؟[56]

هذا التجلّي أو الانكشاف للطيف، هو مشروع لقاءٍ، لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بتوفّر خاصيّة انفتاح عند هاملت الابن، وهي ليست نتيجة لعمليّة الاسترجاع، لكن، وعلى العكس من ذلك، فإنّ عمليّة الاسترجاع تستخدم خاصّيّة انفتاح هذه في سبيل تفعيل هذا اللقاء وتمكينه.

بعمليّة الاسترجاع هذه، يأخذ الطيف، بمعنى ما، صبغة "المرجعيّة"، لكنّها، وبسعيها لاستنطاق هاملت، إنما تروم إلى استكمال ذاتها، الأمر الذي يُشير إلى حقيقتها الناقصة. ولكن، أليس في هذا ما يضيء لنا فوق عتمة اضطرابات هاملت السلوكيّة المُفتعلة؟

---

[56] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.v.22)، ص 60.

هل يمكن فهم هذه الاضطرابات السلوكيّة خارج آليّة "انفتاح" الذي يجعله على مستوى النظر مع انكشافات الطّيف على صورته الأصليّة، (لقد أصرّ شكسبير على هذا الشكل في الظهور لا غيره):

"برنردو: في ذلك الشكل بعينه، كالملك الذي
توفّي
مرسلس: أنت فقيه يا هوراشيو. خاطبه.
برنردو: ألا يشبه الملك؟ دقق النظر فيه يا
هوراشيو.
هوراشيو: أشدّ الشبه. <...>"[57]

لا شكل للطيف ولا كيان خارج الانكشاف المُفصَح عنه بأدوات مرجعيّتها الأولى والأخيرة إدراك هاملت الابن.

فلنحاول إذن فهم سلوكيات هاملت في إطار ما أسميناه "مشروع اللقاء"، من حيث هو انفتاحٌ على الطّيف.

الشرط الأول لهذا الفهم متوفّرٌ من خلال وضع الطيف نفسه في تصرّف ما تُفصح عنه استرجاعات هاملت. فهذه النافذة، ربما الوحيدة، التي تطلّ على صَمتِ الطّيف وغيابه.

---

[57] المآسي الكبرى"، "هاملت"... (I.i.44-47)، ص 60.

إن قياس مدى التطابق بين مدلولات "إفصاح هاملت" و"حقيقة الطيف" منوطٌ بمدى انفتاح هاملت على الطيف، ولكن، بما أن انفتاح هاملت هو نافذتنا الوحيدة إلى الطيف، فإن معرفتنا بالطيف تظلّ رهن تقييمنا لهذا انفتاح، ضمن رصد سلوك هاملت.

هكذا، فلا حقيقة للطيف خارج كلمات هاملت ومنطوقاته، فكيف يُسْتَدْرَجَ "الصّمت" الممتنع؟ ما هو معنى هذا "التّمنع"؟ وما هو مقياس "انفتاح" الذي نحقق من خلاله معرفةً ما عن جوهر الطيف وحقيقته؟

إن هاملت، في صراعه ومقاومته "الإجماع المُشترك"، متمثّلًا بعناصر السّلطة، وفي "جنونه" المُهَدِّدِ والمُفصِح عمّا لا يُراد له بأن يصبح "صَوتًا"؛ في هذه المُقاومة، وفي محاولات قمع "الانكشاف " المتنوّعة، يمكن استشراف بعض ملامح جوهر الطّيف، وكأننا بذلك نقول للصّمت: قل لي كيف تُقاوم أقل لك من أنت، وكيف يكون جوهرك!

إن فهم عمليّة الاسترجاع، عند هاملت الابن، في علاقتها التّوافقيّة مع الطّيف، هو ما يجعلنا قادرين على تحديد ملامحه، هكذا كما هي ضمن فاعليّة انفتاح؛ حريّة هاملت، إذن، في مدى انفتاحه الذي يُفسح للطيف أن يكون وأن ينكشف بوصفه (الحقيقة الغائبة) أو بتعبيرٍ أدق وأعمق:

"الممكن، المتجسّد غير الظاهر"،[58] دون المساس به، ودون مقاومته ودون تشويهه، أو دون تقديمه "خبزَ جنازةٍ باردٍ على موائد العُرس".[59]

إن في هذه الحريّة . الفردانيّة التي تفسح للطيف بأن يكون، مُطابقًا ما لصورة الأصل،[60] نزعةٌ ما تتعارض مع ما قد يبدو للوهلة الأولى من رغبةٍ لتحقيق كينونة الطيف، بل نزعةٌ إلى شطبِ هذه الكينونة وإلغائها.

فإن انفتاح على "الممكن، المتجسّد غير الظاهر"، والذي يتقاطع في مكان ما، أو يستحيل إلى "اللا-ممكن، المتجسّد انعكاسًا لتأثّر..."،[61] وكذلك منحه القدرة على الانكشاف على صورته الأصليّة دون تشويهٍ أو تحريف، إنما يشير إلى نوع من "السلبيّة" الرّاغبة، ربّما، في "النسيان"؛ السلبيّة التي بات يؤلمها التّذكّر:

"... أمحتومٌ عليّ أن أتذكّر؟"[62]

هكذا يتساءل هاملت مُعانيًا.

---

[58] جمال ضاهر،"فردانيّة الهويّة واللغة".

[59] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...). الفصل الأول، المشهد الثاني. ص 44.

[60] لقد أفرط شكسبير في التأكيد على ذلك. أنظر المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...). الفصل الأول، المشهد الأول. ص 30،31.

[61] جمال ضاهر،"فردانيّة الهويّة واللغة".

[62] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...). الفصل الأول، المشهد الثاني. ص 42.

أوليس في هذه الرّغبة في الإلغاء/ النسيان تفسيرٌ ما (أو تبرير ما) لتأخّر هاملت عن التّفاعل الإيجابيّ مع "طموحات" الطيف؟

ولكن، أليس هذا اللقاء. التفاعل، الذي يمنح الطيف بأن يكون هو هو كما في الأصل، أليس هو خطوة نحو سلوكٍ فعّال في تعاطي هاملت مع انفتاحه؟

أوليس هذا انفتاح نفسه ما يُحيل "الطيفَ الصّامت" إلى "طيفٍ صائتٍ"؛ يُحيله من حقيقةٍ متزمّلة إلى أخرى عارية؟

أليس، كذلك، أن هذا انفتاح، والذي يقودنا إلى فهم فردانيّة هاملت، هو الذي يجعلنا قادرين على فحص العلاقة ومدى التوافق بين الحقيقة الصّامتة المُفصَح عنها بواسطة هاملت، وبين جوهر هذه الحقيقة المُحتجِبة؟

تأخر هاملت في "تلبية احتياجات الطيف"! ولكن، ما معنى هذا التأخّر؟ وهل هو كما أراد س. فرويد أن يفهم: إحالةٌ إلى عقدة أوديب، بمعنى أن الملك، وهو العمّ وزوج الأم، قد فعل (قتل الأب) ما كان هاملت يرغب فعله في لا-وعيه؟

لست متضامنًا مع هذا التفسير ولا أعتقد أنه يقود إلى إضاءة ما على أفق المسرح الشكسبيري في هذه الحالة. على كل حال لن نخوض هنا نقاشًا

مع رؤية فرويد لأن تفكيكه لا يخدم توجهنا، ونترك ذلك للقارئ أو لسياق بحثٍ آخر.

يمكنني تتبع "استرجاعات" هاملت أمام "تجلّي المُسْتَرْجَع"، مانحًا إيّاه، بذلك، أن ينكشف كما هو، جاعلًا لآليّة استرجاعه القدرة على بلوغ توافقٍ أمثل مع صورة الأصل، ربما بحثًا عن فرصةٍ أفضل للفهم.

هل يمكننا القول، إذن، أن هاملت قد أودى بثباته في سبيل هذا انفتاح المُنكشف على أبيه الطيف؟ ما يعني أن هاملت كان مُضطرًّا لأن يخرج من ذاته، أن يقف عاريًا أمام حقيقته هو، كي ينفتح على الطيف بحريّة وفردانيّة؛ هذا التحوّل في شخصيّة ووجدان هاملت، أليس ما يجعل منه كائنًا فردانيًّا حرًّا؟ ولكن، لماذا يلجأ هذا الكائن إلى "الجنون"؟

"الاستلابيون" يبذلون قصارى جهدهم في سبيل إعادة تأويل "جنون" هاملت من خلال استقصاء حريّته، بوصفها الوجه الأول لهذا الجنون، مُحيلين أسبابه إلى مجرّد انزلاقٍ غراميّ فاشلٍ إزاء أوفيليا. هذا ما يرغب الخطابُ الاستلابي تصديقه!

فالحريّة ضدّ الإكراه؛ الإكراه الذي يمارسه الاستلابيون على صوت هاملت. إلاّ أن الحريّة ليست كذلك في الانصياع إلى رغبات الطيف التي تدخل في سياق الخطاب الاستلابي العام، فالطّيف ليس إلاّ صوتًا يُنادي في ترّهات هذه الطبقة المنفعيّة ذاتها، وهو من صميمها.

من هنا، ربما نفهم، إلى أي مدى لم تكن نفس هاملت ولا وجدانه طرفًا في الصّراع بمقدار ما كانا حلبةً له.

هاملت الذي أراد أن يكون موطنًا مُنفتحًا على جميع المنافي للحقيقة كما هي من غير تحريف أو موارِبة، زجّ به هذا انفتاح إلى داخل الصّراع الذي يُراد له، من قبل خصمه، أن يأخذ ملامح "العاديّ" ويلبس طبع "الطّبيعة"؛ أي أن يكون منغلقًا ونكوصيًّا من جهة، وبراغماتيًّا منفعيًّا من جهة مُتاخمة.

في فردانيّة هاملت وانفتاحه، ولأن انفتاح جَهْدٌ، تكمن تاريخيّة الوجدان الهاملتيّ، ويتمثّل "جنونه". أما وفي انغلاق ذهنيّة الاستلابيين، بما يعنيه هذا الانغلاق من حالاتٍ مستديمة إلى مرجعيّاتٍ ثابتة لا تتوخّى أيّ جهدٍ، فإنه بالتالي تمثيلٌ لـ "الطّبيعيّ"، "أما الطبيعة فليس لها تاريخ".[63]

ما يحدث في علاقة هاملت بأبيه الطّيف، أنّ حضورَ الغائب في وجدانٍ منفتح على جميع الاحتمالات في سَيره وتحوّلاته، لا يتعاطى مع كلّ الاحتمالات ضمن نقطة تحوّلٍ ما، تستدعي هذا الحضور للغائب المُنغلق على كثير من هذه الاحتمالات بوصفه غير متحوّل وبكونه منتهيًا.

لا نهائيّة الاحتمالات، ضمن آليّة انفتاح، هي "هنا"، أيضًا، انفتاح على "مُغلق". "نهائيّ": اللاّنهائيّةُ نهائيّةٌ.

---

[63] المصدر السابق، مارتن هايدجر، "التقنيّة، الحقيقة، الوجود..."، ص 26.

العلاقة بين أفق الاحتمالات الممكنة من جهة، وبين طبيعة الاحتمالات الموجودة، من جهةٍ ثانية، هي التي تحدّد ملامح "وجدان" هاملت هنا/ الآن.

ولكن وجدان هاملت خارجَ الـ "هنا/ الآن" الفاعل، هو أيضًا، وحيث "الاحتمالات غير الموجودة"، فاعلٌ وحاضرٌ بوصفه أثرًا.

وجدان هاملت هو الشيء ونقيضُه؛ يهدّد ذاتَه نحو فنائه حيث لا يبقى غير الصّمت والسّكون.

يكون وجدان هاملت أو لا يكون (؟)، وفي هذه الكينونة أسباب زوالها وانغلاقها.

"أكون أو لا أكون"/ أنغلق أو لا أنغلقْ؟ هذا هو السؤال.

الجنون

صائتيّةُ الصّمت أو إنسانيّةُ النّقص

إنّ ما يُفهم في إفصاحات الجنون التي تحيل إلى "السّقوط" و"الفوضى" و "التّشتّت" و "النّفي" الخ.. يجعلنا نبحث عن منطلق يضعنا في سياق "الجنون" الخاص كي نسبر أغواره. وفيما نحن نعيد بناء مجموع العلاقات التي تشكّل هذا السّياق، يتبادر إلينا أنّ فهمَ "الجنون" غير مُتاحٍ إلاّ بوصفه تهيئة ثانويّة تحيل إلى لغةٍ أكثر صميميّة، أقربها إلى الإمساك والضّبط يكمن في مونولوجات الاعتراف.

من الصّعب فهم "حركيّة الجنون" خارج فهمنا لـ "جاذبيّة النّقص"، وفي الاعتراف المونولوجي تبزغ إمكانيّة الإفصاح عن النّقص.[64] هذا الإفصاح المتواري متوسّلًا المجاز والتّورية والرّمز؛ هذا الإفصاح الصّامت، لا ينطق "النّقصَ" باسمه ولا يستنطقه بالكلمات والأصوات.

من هنا، فالطّريق إلى فكّ رموز الجنون لا يكون إلاّ عبر الإصغاء والتّأويل وتفكيك الألغاز. هكذا، فإنّ إسقاط "الإرادة الناقصة" على معنى "الجنون"، أو إضفاء "الجنون" على "الإرادة الناقصة" لا بدّ أن يتطاول إلى الأبعاد المتوارية للنّقص، حيث تكمن الأسرار الأكثر مدعاة إلى التأمّل.

في هذا السَّفر تتنامى توريات الجنون الهاملتيّ، وعلى خطواته يُوقّعُ السّقوطُ أسماءه وفي شتاته يستوطن النّفيُ. في تأويل الصّامتِ ما يُتيحُ

---

[64] راجع مونولوجات هاملت.

للجنون أن يتقاطع مع المعرفة التي ينفتح بها هاملت على نفسه، ويتعرّف من خلالها على ذاته. وكأن توريات النّقص، التي تحيله إلى متن الصّمت، تنطلق من مُقاربة الجنون إلى "الذّوْبِ التأمّليّ"، حيث تتلاشى التناقضات أو تصبح شرطًا للوجود.

نحن إذن، أمام "نقصٍ جاذبٍ" يحرّك الجنونَ في فضاء الاعتراف الدّاخِلْ-ذاتيّ حيث لا يكون وعي حركيّة الذّات الاّ من خلال وعيٍ يسير بنفس سرعة حركة الذات.

فيما يخوض هاملت الإنسان، متأمّلًا جنونَ الإرادة النّاقصة نحو صمتِ النّقصِ، متوسّلًا بتوريات النّقص ذاته، يصبح السّؤال حول إمكانيّة تقاطع واقع هاملت الإنسانيّ مع النّقص، بوصفه حالة من حالات هذا الواقع الإنسانيّ، سؤالًا عن إمكانيّة "إنسانيّة النّقص".

في "تعدُّديّة الذّات" الهاملتيّة، وفي "وجودها المشتّت" بات النّقصُ في حيّز "الممكن"؛ وفي انفتاح على الخطأ المتواري (الطّيف الآثم) أصبح "صمتُ النّقصِ" صائتًا. هكذا، أمكن لتوريات النّقص أن تقرّب الجنونَ من "الذَّوْبِ التأمّليّ"، حيث حركيّة الوعي شرطٌ لوعي حركيّة الذات المتعددة والوجود المشتّت مما يؤوّل الجنون على أنّه، وبدلًا من تعقّل العقل لمعقوليّته، انفلاتُ العقل من معقوليّته كشرطٍ لوعي ذاته، فيصبح الجنون أسمى حالات وعي العقل لذاته مع فَقْدِه لكونه "يَعْقِل" متحوّلًا إلى "يُفكّك" أو "يشتّت"؛ هنا فقط يمكن فهم النّقص على أنه إنسانيّ بامتياز، دخل الوجود عبر الإنسان وحده.

في "الذَّوْب التأمليّ"، حيث الفضاء المواتي لتشكّل لغة الاعتراف، يكون النّقصُ أو انفتاح على الخطأ مُمكنًا؛ فيكتسب الذَّوْبُ التأمليّ من تلميحيّة النّقص ورمزيّة انفتاح على الخطأ إثراءً هامًا يُحيل الذَّوْب التأمليّ إلى عالم الصّمت حيث النّقص يلمّحُ ولا يُفصِحُ؛ الصّامت هنا، بات مركز جاذبيّةٍ لمدارات الوعي المتحرّك داخل ذواتٍ.

في هذا الفضاء وحده يمكن فهم "جنون" هاملت بوصفه حركة أمام "عقلانيّة" الخطاب الاستلابي بوصفه جُمُودْ.

وفي هذا الفضاء وحده يمكن فهم "النّقص" على أنّه شرط إنسانيّة هاملت، وأن "الصّمت"، حيث التلميح المتواري وليس الإفصاحُ المباشر، شرط الوعي ومُنطلق حركيّته.

ولكن..

إلى أيّ مدى يمكن للنّقص الإنسانيّ/ الصّامت/ المتواري/ الرّامز، الذّائب تأمّليًّا والغائص في إرادة النّقص، إلى أيّ مدى يمكن أن يكون هو ذاته مَوضوعَ وعيِهِ؟

إنّ افتراضنا المسبق بأن النّقص إنسانيّ، محض إنسانيّ، لا يُحيلنا إلى جذور النّقص ومنابعه الأولى بقدر ما يشير إلى شرط إمكانه داخل النّفس البشريّة.

الإنسان (وما يعنينا هنا هو الإنسان هاملتيًّا) ليس أصل النّقص ولا علّته الأولى، بحسب ما سبق وقلناه، كذلك، فهو ليس "النّقص المطلق" مقابل "الكمال المطلق" المُعبّر عنه بأشكالٍ شتّى في الخطاب الاستلابي.

إنّ إنسانيّة النّقص هي ما يجعل صمته صائتًا ووجوده المتواري ظاهرًا مُمكنًا.

إنّ انفتاح على "النّقص" ومحاولة وعيه غير ممكن إلاّ بما تتيحه طبيعة هذا النّقص، لكنّ هذه الإتاحة لا تنفتح أمام المُغلق، وإفصاحها عن نفسها لتمكين الوعي منها يشترط حركيّة هذا الوعي؛ في هذا انفتاح/ التّجاذب تسعى الذّاتُ إلى وعي ذاتها، وبما أنّ الوعي حركة وتحوّل، تفقدُ الذّاتُ في كلّ وعيٍ لذاتِها ذاتَها بوصفها ذاتًا واحدة ثابتة؛ تتحوّل الذّات الواحدة، في سيرورة الوعي، من "الذّات" إلى "ذوات".

في هذا الفضاء لا مكان للغةٍ سوى لغة الاعتراف، حيث إنسانيّة الإنسان هي المكان الذي يُفصَحُ فيه عن النّقص؛ النّقص الذي هو منطلق الوعي الإنسانيّ.

النّقص لا يتمظهر دون الاعتراف به. والاعتراف به لا يكون إلا عبر حريّة الاعتراف كخَيارٍ وجوديّ.

إنّ معبر الحريّة شرطٌ للولوج إلى عالم النّقص؛ هذا العالم المتحرّك.. كيف يكون العبور إليه بلا حركة تُجاريه؟

هذه الحريّة التي تقبل أن تتحزّم بالنّقص رابطةً مصيرها به، لا يمكنها إلاّ أن تكون حريّة مسؤولة، باعترافها بلا مَفْصُوليّتها عن النّقص الإنسانيّ، المحض إنسانيّ؛ هذه الحريّة لا تجعل من الإنسان فضاء تجلّي النّقص فحسب، بل تجعل من الإنسان، بوصفه حُرًّا، هو خالقه، خالق هذا النّقص.

ها هو هاملت، لا يسعى إلى مأساته، بل ينطلق منها حين أخذت حريّته النّقصَ على عاتقها.

شذرات

- الحريّةُ خالقةُ النّقص/ الحريّةُ أصل النّقص.
- الاعتراف يضع النّقص في ملعب الحريّة.
- التشبُّث بحتميّة "الكمال" هُروبٌ من الاعتراف بالنّقص.
- الاعتراف موطن النّقص. الاعتراف ذواتيًّا.

"النّقص الجذريّ":
عقلنة الجنون أو إنسانيّة السّقوط

في الخطاب الاستلابي تُقلبُ المُسمّيات، فحيث أن "الحريّةُ أصلُ الكمال"، فإن "الحريّةُ ليست أصل النّقص".
في عباراتٍ كهذه تكمن المصائد وإغواءات ملء الفراغ وحشوه بالإجابات. وكأن في هذه العبارة "حاجة" للبحث عن أصل النّقص ما دامت الحريّة تأخذه على عاتقها دون أن تُنسب إليها جذريّته.
إنّ البحث عن "النّقص الجذريّ" لا إمكان له داخل تورية "جنون" هاملت، حيث لا مجال للتوفيق بين "ال" التعريف وبين "النقص"؛ فكيف يمكن الحديث عن "الـ "نقص "الـ "جذريّ بالمطلق وهو "نقص"؟
في الخطاب الاستلابي متّسع لـ "ال" التعريف ومتّسعٌ للمطلق ومتّسعٌ لـ"الكمال المُطلق".
إن "إرادة الكمال" في الخطاب الاستلابي تحيل إلى الرغبة في إضفاء صبغةٍ أخلاقيّة على الأشياء تسعى إلى تثبيت المعنى عبر "عقلنة" الحريّة.
في حركيّة الجنون عند هاملت حريّةٌ تأخذ "إرادة النّقص" على عاتقها وتلج إلى أعماقها مُثقلةً بخفّتها وبـ "لا معنى متعدّد".

شذرات

- النّقص جاذبيّة الحريّة وحافزها.
- عقلنةُ الحريّة تُبيدُ الحريّةَ.
- العقلُ وطنٌ. الحريّةُ ابنةُ المنافي.
- "في البدء كان النّقص"؟ لا يعنينا. يعنينا النّقص ضمن ما تتيحه إنسانيّة الإنسان.
- النَّقْصُ خارجَ الزَّمان وخارجَ المكان. الحركيَّةُ، ربّما، تستبدِلُ الزَّمانَ. وُجدانُ هاملت الإنسان المشروطُ بالحَركةِ والتَّغييرِ يُغنينا، ربّما، عن المُكوثَ في مُصْطَلَحِ المكانْ.
- حريّةٌ تأخذ النّقص على عاتقها هي حريّةٌ مسؤولة. "إرادة الكمال" ملجأٌ للانا خارج أفعالها؛ "إرادة الكمال" هروبٌ من الفعل، هروبٌ من المسؤوليّة.
- حُريّة هاملت الرّافضة للعقلنة المُحْتَمِية في سراديب الجنون وصمته. وفي اختيارها انفتاح على الخطأ والنّقص الإنسانيّ ما يجعل وجودَها يعي عدميّته، ويجعلُ ذات هاملت، من حيث هي ذواتٌ متعددة متحرّكة، تعي أن حياتها محكومةٌ بحركيّتها وأن لا استقرار إلا في هذه الحركيّة عينها، أو فربما في الموت.

الحريّة أصل النّقص. (ربّما). لكنّها أصلٌ يتداعى في حركيّة اختياراتها. من هنا، فإنّ الاعتراف بالنقص، بوصف الاعتراف خيارًا، يصبح شرطًا لوعي هذه الحريّة؛ في هذا الاعتراف مكمن برزخيّة الحريّة الهاملتيّة من حيث هي، من جهةٍ، أصلٌ يحيل إلى ماضٍ، لكن، ومن جهةٍ أخرى، فهي أصلٌ يتداعى، فيه تتماحى المعاني وتتجه منفتحةً إلى الآتي/ المستقبل.
حريّة هاملت هي معناه؛ حريّةٌ برزخيّةٌ تسافر بين أنا(ه) وفعلُ(ه).

السؤال التالي يكمن فيما إذا أمكن لهذه "الآليّة" التي أسميناها "حركيّة الجنون" أن تمنح النّقصَ علّته دون تداعياتٍ؟ بمعنى أنه لو كان النّقص هو "غير المُبرَّر" في خطاب الاستلابي ين، فهل بإمكان حريّة هاملت، ضمن آليّة الاعتراف، أن تستوعب هذا النّقص (الإنسانيّ) بالكامل؟
إنّ مكمن الصّعوبة في التعامل مع أسئلةٍ كهذه يكمن في هشاشة العالم الإنساني نفسه، موطن هذا النّقص. فـ "السّقوط" الإنسانيّ، المحض إنسانيّ، حيث مَدعى التأمّلات المتعلّقة بأصول النقص التي تُتيحها خيارات الحريّة الإنسانيّة (الهاملتيّة)، ليس السّقوط وحده وراء كلّ هذا، بل "الفوضى" بوصفها كذلك محض إنسانيّة و "التّيه".. هذا كلّه إثراءٌ.
الاعتراف من اختصاص هاملت، وربما في صمت أوفيليا وتواريها.. في ملحميّة الاعتراف في طبيعة هاملت ما يفسّر تفوّق إنسانيّة السّقوط ضمن خيارات الحريّة ومسؤوليّتها.

في إنسانيّة السّقوط يتبادر أمرٌ هام:
مدخل النّقص إلى عالم الإنسان لا يكون إلاّ كتعبير عن خيارٍ إنسانيّ بانفتاح على النّقص، حتى لو كان هذا انفتاح مشروطًا بعوامل أخرى تحريضيّة؛ قد يحتّم هذا على الحريّة. انفتاح (كما في حالة هاملت) إلى أن تتحوّل هذه الحريّة . انفتاح إلى فريسة تلك العوامل الأخرى/ (الخطاب الآخر).

النّقص تجلّيًا للممكن

النّقصُ هو أحدُ تجلّيات الممكن ضمن البُنية الداخلية للوجدان الإنسانيّ الهاملتيّ. وهذا "الممكن" ليس ممكنًا إلاّ بمقدار ما يكون "انفتاح على الخطأ" ممكنًا.

انفتاح على الخطأ إمكانٌ وجوديّ، بمعنى أن الإنسان الهاملتيّ احتمالٌ لعدم تطابق الإنسان مع ذاته، حيث يصبح اللا تطابق بين ذاتٍ وذاتٍ ضمن الذّات المتعدّدة الذّوات معيارًا لـ "السّقوط" الإنسانيّ أو "انفتاح على الخطأ".

أين تكمن لا-تطابقات هاملت وانفتاحه على الخطأ؟ فيما يستقرّ سُقوطه؟

قبل البحث في هذه الأسئلة، لنتذكّر (أو نفترض) أن هاملت فيما لو نجح في التّماهي مع "الحكمة السّماويّة" و"إرادة الطّبيعة" و"الكمال المُطلق" وما شابه من المفاهيم الطّاغية على خطاب الاستلابيين؛ خطاب كلاوديوس وخطاب بولونيوس. لو نجح في ذلك لاسْتكانَ وُجدانُه، ولكنّه في عودته إلى نفسه الإنسانيّة وإفادته من تجربته الحياتيّة والوجدانيّة الخاصّة، ما مكّنه من الانكشاف على الخطأ والسّقوط المحض إنسانيّ.

انفتاح على الخطأ، بوصفه إمكانًا توفّره الحريّةُ المسؤولةُ فيما هي عددٌ لانهائيٌّ من الخيارات، يجعل من الوجدان الهاملتيّ برزخًا يتحرّك لا بين

"الكمال المطلق" و "النّقص المطلق"، بل بين ذاته هذه وذاته تلك عبر مسيرة مساءلاتٍ وتجاوزاتٍ قد لا تنتهي إلا مع موت الإنسان. هذه الآليّة وحدها ما يمنح الصّمتَ المتبقي بعد التّواري الأخير معانيه وزخمه الوجوديّ؛ هذا وحده ما يجعل المتواري الغائب في أوْجِ حضوره.

إذن، هو السّفر بين ذوات.

لكن، من أين يكون السّفر؟ من أين يبدأ؟ ما هي نقطة الانطلاق؟ (نفترضُ جَدَلًا صِحّةَ هذ الأسئلة)..

للوهلة الأولى، يتبادر إلى الذّهن أنّ سَفرًا كهذا محكومٌ بتعدّد ذواتٍ غير متطابقة بالضّرورة، وبآليّة انفتاح على الخطأ وسيرورة السُّقوط المحض إنسانيّ.. لا بدّ لسفرٍ على هذا الوصف أن ينطلق لا من نقطة يختزلها التّسطيح أو تضغطها الأحاديّة، بل من تعدّدية وتركيبيّة مشابهة لطبيعة هذا السّفر نفسه، وقد لا نبالغ لو قلنا إن الإنسان، بكلّ تعقيداته ومركباته الوجوديّة، هو الانطلاق إلى الإنسان؛ هاملت مسافرًا بين ذواته إلى هاملت.

في الخطاب الاستلابي يُستلَب "انفتاح على الخطأ" لصالح "العُرضة إلى الخطأ" ويُنتَزَع "السّقوط" (المحض إنسانيّ) من سياق كونه حاصلًا عن خيارات الحريّة المسؤولة وسفرها بين ذوات متعدّدة؛ في الخطاب الاستلابي تُحال "العِصْمة" إلى "الفَوْق إنسانيّ". إلى المُطلق الواحد.

بناءً على هذا، "اللا-عصمة"، إنسانيًّا . هاملتيًّا، هي ليست العُرضة إلى الخطأ بل "انفتاح على الخطأ"، أو لنسمّيها من الآن وصاعدًا "الإنْسُقُوط"[65].

مع تطوّر شخصيّة هاملت يتحوّل الإنسقوط إلى طبيعة أونطولوجيّة تميّز وُجدان هاملت، وأكثر مواقع بروز هذه السّمة يُفسَحُ لها في الاعترافات، كما سبق وألمحنا. كذلك في لحظات اللاّ-تطابق الحادّة بين ذوات هاملت التي تتبدّى على أشكالٍ وفي مواقف عديدة متنوّعة.

في محاولات الخطاب الاستلابي إحالة الوجدان الهاملتي الرّافض والمُقاوم والمُشاكس إلى إرادة "الفَوْق إنساني"، سعيٌ إلى حجب صوت الحريّة المسؤولة وتداعيات الإنسقوط، تحت عنوان "التّعقلُن" أو "عَقْلنة الحريّة".

من هنا يمكننا أن نفهم، ربما، أن لا وطن بعد الآن لحريّة هاملت المُهدّدة بالـ"عَقْلنة" الاستلابية غير اللجوء إلى "المَجْنَنة". هكذا كان خيار الجنون الهاملتيّ حاصل تحصيل في سبيل حماية حريّته ودرء الخطر عن إنسُقوطه المُحتمل.

ولكن، ما معنى إنسقوطِ هاملت؟ هل بات مجرّد ساعٍ بين ذواتٍ متعارضة؟ هل أصبح مجرّد أسير لسفرٍ مدفوعٍ بلا-تطابقية هذه الذّوات؟ هل هو مجرّد حالةٍ برزخيّة بين أن يكون أو لا يكون؛ بين كينونة

---

[65] بدافع الاختصار قررنا ضغط إنسيّة أو إنسانيّة السّقوط في كلمة واحدة هي "الإنسُقُوط".

أو انعدامٍ؟ هل هو مجرّد مساحة وجوديّة تتموضع بين مساحات وجوديّة أخرى؟

هاملت، في سَفَرِهِ، بحثًا عن توازناتٍ بين لا-تطابقات ذواته المتعدِّدة، يكتسب هذه الذّوات ويتماهى مع كيفيّاتها؛ إنّه هي، وهي هو بتعدُّديّتها وتناقضاتها.

السّفر هنا جُوّانيٌّ، محض جوّانيّ.

وبعد هذا، لا يمكننا الحديث عن هاملت بوصفه كائنًا ذاتيًّا، بل كائنًا "ذواتيًّا". ومن هنا فإن جوهر وُجدان هاملت يكمن في برزخيّته وذواتيّته.

هذا الوجدان الذّواتيّ المشروط بحريّة مسؤولة تُتيح انفتاح على الخطأ وتُفسح للإنسقوط، يُراد لها (من قِبَلِ الخطاب السُّلطويّ الاستلابي) أن تبقى في حيّز الصّمت. من هنا يأخذ الصّمت معانيه، ومن هنا يُصبح الصّمت كلمةً تعني وتُجمل كلّ هذه التّفاعلات وعلاقاتها المعقّدة.

الصّمت:

إنّه الـ "هناك" اللا-مُفصَحَ عنه، حيث وُجدان هاملت. حيث جنونه.

حركيّة اللا-انتماء

في الذّوبِ التأمّليّ يكمن فضاء الاعتراف، كما سبق وافترضنا.
في الاعتراف يصبح انفتاح على النّقص ممكنًا، حيث "لا-تطابقيّة ذوات متعددة" هو ما يدفع إلى حركيّة "الذّات الجامعة".
انفتاح على النّقص أو الخطأ مشروطٌ بخياراتٍ تتيحها الحريّة المسؤولة التي تأخذ النّقصَ على عاتقها.
الذّات الجامعة، بوصفها حيّزًا مخلخَلًا بتدافع ذواتٍ لا-متطابقة بالضّرورة، يعني حتميّة حركيّتها وهلاميّتها؛ إنها ذات لا-انتمائية، بمعنى أن انتماءاتها متحوّلة بمجرّد أن تعي ذواتُها نسبيّتَها عبر لا-تطابقيّاتِها.
"الحركيّة اللاّ-انتمائية" في صُلب الذّوب التأمليّ، في صُلب الاعتراف، في صلب انفتاح على الخطأ، في صُلب الإنسُقوط، في صُلب الحريّة المسؤولة.
نفترض، أن في الذّوب التأمّليّ ما يمكّن من استرجاع "بدء" حركيّة اللا-انتماء. بل، ويبدو لنا أن الذّوب التأمليّ، في ذروته، يتماهى تمامًا مع حركيّة اللا-انتماء، هذا، على افتراض إمكانيّة بلوغ ذلك، لأن الذّوب التأمليّ ليس بداية لوعي حركيّة اللا-انتماء إلا بمقدار ما تُفسحه انتقاصات "بداية" لأن تكون "البداية"، لا مجرد "استئناف".

على هذا الأساس، وبما أن حركيّة اللا-انتماء متماهية مع فضاء الذّوب التأمليّ، مُحَالةً بكليّتها إلى الصّمت، فإننا نقول: في البدء كان الصّمت، حركيًّا.

نعم، الذّوب التأمليّ بوصفه وعي حركيّة اللا-انتماء لا يمكنه أن يكون نقطة بدءٍ لا يسبقها شيء كمثل "القلق الحَدْسيّ"!

القلق الحدسيّ، ربما، حالةٌ قَبْلَ-فَهْمِيّة لحركيّة اللا-انتماء.

أيّ تقدّمٍ في "فهم" القلق الحدسيّ لسوف يساهم في خلق تقدّم في فهم حركيّة اللا-انتماء، مما يجعل الصّمتَ في أعماقه البعيدة المعتمة أكثر انفتاحًا على الوجدان الإنسانيّ الهاملتيّ، وخطابه الحياتيّ الوجوديّ.

القلق الحدسيّ قد يسبق فهم حركيّة اللا-انتماء، لكنه لا يسبق حركيّة اللا-انتماء ذاتها؛ القلق. أليس هو ما يبرّر الحركيّة؟ أليس هو هي؟ وكيف نرى إلى الإنسان المُنتمي بوصفه إنسانًا ذواتيًّا؟ ألا يقود تعدد الذّوات إلى تعدد الانتماءات؟ ألا تؤول لا-تطابقيّة الذّوات إلى لا-تطابقيّة الانتماءات؟

من هنا لا يمكننا فهم حركيّة اللا-انتماء إلاّ ضمن معادلة اللا-انتماء بتعددية انتماءاتٍ لا-تطابقيّة.

القلق الحدسيّ الصّامت الذي لا يُراد له أن يُفصح عن نفسه، المُحْتَمي بـ "مَجْننة الحريّة المسؤولة"، هو في صُلب المأساة الهاملتيّة الشكسبيريّة.

وُجدان هاملت لا-انتمائيّ.

مأساته في انفتاحه على اللا-انتماء. في إصغائه العميق إلى الصّمت.

هاملت المسافر على متن القلق الوجوديّ عبر الكينونة؛ كينونته الجوّانيّة الذّواتيّة. والكينونة قلقٌ كَما القلقُ كينونةٌ.

بين "كاف" المُكَوِّن و"نون" المُكَوَّن يعيش هاملت داخل "واو" الكون، وفيها يسافر وُجدانه الذّواتيّ اللا-انتمائيّ. لكنه يملك من الكاف والنون ما يكفي لتوسّطات الواو، ويملك في واوه ما يكفي من القلق لخلخلة العلاقات بين الكاف والنون؛ لخلخلة الكاف وخلخلة النون.

الطّيف/ الأبُ وآليّة الخلق الشكسبيريّة

ما دمنا نبحث في جوهر الطّيف وفي معناه وفي حقيقته؛ نبحث عنه لا في كلاوديوس، الأب البيولوجي أو المربّي.. ولكن، في الأب الشّكسبيريّ . الأب المُعاد خَلقه شكسبيريًّا (أو بكلماتٍ أخرى، المُعاد خلقه فنّيًا ومسرحيًّا، وربما بدرجةٍ ما، أخلاقيًّا وجماليًّا).

ربما، وهذا ما سوف نبحثه، تكون حقيقة الأب الشكسبيريّ قد تحدّدت على أساس كيفيّة اشتغال الآليّة الفنيّة الشكسبيريّة فيه وفي إعادة خلقه، وهذا هو "مكان" "حُدوث حقيقة"[66] الأب الشّكسبيريّ.

وفي هذا الحدوث (ربما يجدر التذكير والتأكيد أن هذا الحدوث هو حدوثٌ متعدد) الحركيّ التّحوّلي تتبلور أشكال الصّراع بين المُختَلِفاتِ وبين التّناقضات . بين ذوات هاملت؛ في هذه الحركيّة يتكوّن الصّمت ويتكوْنَنُ.

"حدوث الحقيقة" يشتغل فاعلًا في حركيّة إعادة خلق وبناء الأب الشّكسبيريّ. وقد نعتقد للوهلة الأولى، وبمحض تجريد، أن ما يشتغل فاعلًا في الأب الشّكسبيريّ، لا بدّ وأنه حاصلٌ داخل الأب الشّكسبيريّ ذاته، وتبعًا لذلك يكون الأب الشّكسبيريّ في "حقيقته الجوهريّة الأولى" هو حلبة هذا الحدوث. الصّراع.

---

[66] نستعير التعبير من هايدجر، رغم وروده في سياقات مغايرة، ونطوّعه لحسابنا، فوجبت الإشارة.

إلاّ أن المسألة في "هاملت" أكثر تعقيدًا من هذا التصوّر الأوليّ المجرّد، بل، وكما بيّنا سابقًا، فإنّ هذا الحدوث، على ما يبدو، حاصلٌ في وُجدان هاملت الابن. وهنا كان لا بدّ من السّؤال حول ذلك الهاملت وكيفيّة تأثيره واشتغاله في "حدوث الحقيقة" عبر عمليّة خلق الأب الشّكسبيريّ الكائن على هيئة طيف.

من هنا، فلو حاولنا فهم عمليّة خلق الأب الشّكسبيريّ (الطّيف) من خلال العودة إلى ذات الأب نفسها، فإننا قد نخطئ فهم هذا الخلق وذاك الحدوث؛ الأب الشّكسبيريّ يُخْلَقُ عبر هاملت المسرحيّة بآليّةٍ شكسبيريّة على هيئة اتّخذت وجدانَ هاملت وذواتِه المتصارعة حلبةً لها وموطنًا مكانًا لحدوث الحقيقة، حيث يتكوْننُ الصّمت.

لذلك، ولو قفزنا قليلًا ونظرنا إلى آخر عبارات هاملت: "والبقيّة صمتٌ وسكون"، التي لن يكون لها بحسب هذا التحليل غير معنى واحد ملخّصُه أنّ ما سيبقى ليس سوى استمرار لهذا الحدوث، لهذا الصّراع ولهذه الحركيّة اللاّمتناهية، حيث يستوطن الصّمت.

الصّمتُ

"الصّمتُ" مُحالًا إلى "الفوق إنسانيّ"

نلاحظ، في كثير من المواقع، أن خطاب "الإجماع المُشترك"[67] يسعى إلى إخضاع "حُريّة هاملت في انكشافه على الطيف" إلى اعتباطيّة الطّبيعة الإنسانيّة المتمثّلة في شخص هاملت نفسه، وذلك من خلال إظهار أن الحريّة عبءٌ لا يمكن إلاّ لما هو "فوق إنسانيّ" أن يتحمّل أوزاره. هكذا تُحالُ "الحقيقة"، بحسب هذا الخطاب، إلى ما يفوق القدرة الإنسانيّة، فنجدها تتسلّح بمفاهيم تسعى من خلالها إلى إضفاء صفة "الطّبيعيّ" على ما هو ليس طبيعيّ تحت غطاء "التّبصّر"، فها هو كلاوديوس، ومنذ أن أطلق كلماته الأولى يقول:

"لئن تكن ذكرى أخينا الحبيب هاملت
بعدُ خضراء نديّة، ولئن يكن خليقًا بنا أن نحمل
قلوبنا وملؤها الأسى، ونجعل
من مملكتنا جبينًا واحدًا يتقطّب حزنًا
فإنّ التّبصّرَ ما زال يُصارع الطّبيعة
فنذكر أخينا بأرشد الحزن،
ونذكر كذلك أنفسنا معه."[68]

---

[67] تسمية جديدة أصف بها من أسميتهم سابقًا "الاستلابيون" أو "الخلاسيّون".

[68] المآسي الكبرى"، "هاملت"، (التّشديد من عندي وليس في الأصل).

لن يكون من الصّعب أن نفهم مراوغات هذا الخطاب وتلاعباته بالحقائق حين نحفر قليلًا في معاني "الطبيعة" (Nature) التي تسكت عن حقيقة "فعل الخطيئة الإنسانيّ" وتحتجب خلف حقيقته "اللا-حقيقة"، لا بوصفها شيئًا طبيعيًّا أو بَداهيًّا، بل على العكس، "اللا-طبيعيّ" بعينه. وفي المقابل نتساءل، عن أيّ "تبصّر" (discretion) مُقاومٍ لد "طبيعة" يتحدّث هذا الخطاب؟ هذا التّبصّر الذي يخفي إذ ينكشف "رغبةً في النسيان". التّبصّر؟ أيكون هو النسيان إذن؟! النسيانُ، أو الرّغبة فيه، هو/ هي ما يُقاوم "الطّبيعة. الفوق إنسانيّ"!

هكذا، ومنذ البداية، فإننا نتعامل مع خطابٍ لا يقُولُ "المعنى"، بل يسكتُ عنه في سبيل خلقِ حقائقه؛ في سبيل تطبيع ما ليس طبيعيًّا. خطابٌ يدفعنا، في استخدامه "المعنى" بوصفه آداة حجبٍ، إلى الإصغاء إلى "اللامعنى" بالذات والاعتناء به.

فالحقيقة . "الأليثيا"، والتي تعني عند اليونان الانكشاف، أي "ما يجعل الموجود في كليّته منكشفًا"، هذه الحقيقة:

"حقيقة الوجود في اختلافه وعلاقته بالموجود، إذ ما يجعل الموجود متكشّفًا هو الوجود الذي بعمله هذا يتوارى ويتحجّب عندما يجعل

الموجود لا تحجّبًا. من هنا فبين الوجود والموجود هناك حرف "اللا". من التحجّب إلى اللا-تحجب أي الانكشاف."[69]

[69] محمد طواع، "هيدجر والميتافيزيقا"، 2002، ص 13.

الصّمتُ سؤالًا ـ الصّمتُ مُقاومةً

الطيف، على ما يبدو، فهو رغبة الغائب في الحضور وفي الإفصاح، (هذا في أحد جوانبه).

في هذه الرّغبة فعل مقاومة وصراع بقاء. "لماذا نكتب، كي لا نهلك".[70]

والإفصاحُ، كتابةً كان أو قولًا (...) هو "بالأحرى صراعٌ ومقاومةٌ، لعبةٌ واستراتيجيا، تدفع نحو المغامرة والرّحلات الشّائكة، يقاوم من خلالها الكاتبُ زيفَ المعنى وسلطة الحقيقة ويحتفظ بالشّعلة المُحرقة التي تكويه من الدّاخل كجذبٍ وجدانيّ متوتّر ومتواتر، هائجٍ ومتكرّر."[71]

هذه الرّغبة في الإفصاح عند الطّيف، لا تترك وسيلتها في الإفصاح، والتي يُشترط أن تنفتح عليها، على حالها. فإنّ هذا انفتاح ليس مجرد انشغالٍ للذات الإنسانيّة الفردانيّة (متمثّلةً في هاملت) بذاتها، وليس هو مجرّد جهدٍ أخلاقيّ، لكنّه تعرّضٌ لحقيقةٍ أخرى غير "حقيقته" هو، الخاصّة والمختلفة. إنه كمثل الانكشاف لضوء الشمس اللافح، وفي ذلك معاناة، قد تصل حدّ الاحتراق.

---

[70] محمد شوقي الزين، "تأويلات وتفكيكات، ..."، ص 105.

[71] محمد شوقي الزين، "تأويلات وتفكيكات، ..."، ص 105.

"عبر الكتابة <الإفصاح>، لا يخلد الكاتب إلى السّكون وجماليّة الحضور ووضاحة الحقيقة، وإنما يخلد إلى المغامرة والتّمزّق والمعاناة، بحثًا عن حقائق متناثرة وهُويّاتٍ متشظّية."[72]

الطّيف، لا ولم يأتِ حضورًا ممتلئًا، لم يجئ كي يُجيبَ أو يُغلقَ دائرةً ما، لكنّه (جاء) ليسألَ داخل فعلِ السّؤال الأكثر فاعليّة في حياة هاملت الشّخص وهاملت المسرحيّة الشّعريّة.

"<...> فإنّك آتٍ في شكلٍ يُثيرُ السؤال،
ولسوف أخاطبكَ ولسوف أدعونّك
هاملت،
ملكًا وأبًا..."[73]

الطيف، بمعنى ما، معاناة وجدانيّة تم مُحاسستها ومُعايشتها للمرّة الأولى قبل "ظهورها":

"هاملت: <...>
أبي. أظنّ أنني أرى أبي.
هوراشيو: أين يا سيّدي؟
هاملت: في بصيرتي."[74]

---

[72] محمد شوقي الزين، "تأويلات وتفكيكات، ..."، ص 105.

[73] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الرابع، ص 57. (الحديث لهاملت مخاطبًا الطيف).

[74] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 44.

هذا "الوجود المنفتح" [75](Ek-sistant) لهاملت هو ما يكفل له أن يكون جزءًا من التفاعل الإنسانيّ الذي يشكّل تاريخه ويجعله تاريخيًّا، إلا أن هذا الوجود محكومٌ، على ما يبدو، بالاضطراب والغموض، بحثًا عن معناه، مُحيلًا انكشاف الطّيف إلى جملةٍ من التّساؤلات، تؤدّي جميعها إلى السؤال الوجوديّ الأكبر: "أكون أو لا أكون؟"، هذا السؤال الذي تتجلّى في ذروته رغبةُ هاملت وحاجته لمعرفة معنى كينونتة وجوهر وجوده.

في هذا الانفتاح، وفي هذا الانكشاف تمّت معايشة الطّيف للمرّة الأولى، (في البصيرة).

في الانفتاح على الطّيف . الصّمت، في هذا الفعلِ بالذّات، شَرَعَ هاملت يؤرّخ لوجدانه.

---

[75] التعبير مستعارٌ من مارتن هايدجر.

الصّمتُ: النسيان المرغوب والنسيان الممقوت

الطّيف . "رغبة الصّمت في الإفصاح" خوفًا من انفلات حقيقة ما، خوفًا من النسيان والتّواري. الطّيف، إذن، "نسيانٌ غير مرغوب به"، في حين نجد، وفي آنٍ معًا، في "هذه الرّغبة في الإفصاح" ذاتها، وجهًا آخر للنسيان: "نسيانٌ مرغوبٌ به".

إننا نفصح ونبوح بالأشياء أو نكتبها... كلّ هذا كي لا يغيب المعنى في غياهب الصّمت وظلماته، لكننا إذ نفصح إنما نسمح لأنفسنا بأن ننسى؛ إننا.. ألسنا راغبين في النسيان؟! أليس في إفصاحنا "تثبيتٌ ما" أو "إعلانٌ ما" يعفينا من عبء الحاضر ويحررنا من ثِقل الحضور، فيصبح الغياب والنسيان وتخطّي الحاضر أشياءَ مرغوبٌ بها؟

هذه الازدواجيّة في طبيعة الطّيف، إنما تصدِّع فتعمِّق مشاعرَ الاغتراب داخل النّفس، نفس هاملت، حيث يدور الصّراع بين الرّغبة في الإفصاح من جهة، وبين طبيعة الصّمت التي لا تسمح بالبَوْح من جهةٍ ثانية:

"<...>

ولكن حُرِّمَ البَوْحُ بأسرارِ

الأبديّة

لآذانٍ صُنعت من اللحم والدّم."[76]

النسيان إذن. وللنسيان وسائله الفاعلة ضمن خطاب المُراوغة، الخطاب الذي يتعمّد الإيحاء بغير ما يقصد، ويُفصح بما يعين على توجيه النظر إلى جهةٍ تُنسي ما لا يُراد تذكّره. فلننظر إلى أسلوب ولغة خطاب الملك منذ البدايات، ولن نعود على "التبصّر" الذي يُصارع "الطّبيعة".. فلنتمعّن قُدُمًا في عبارات كلاوديوس: "الفرح المغلوبُ على أمره... مرحين في الجنازة، نادبين في العرس، وازنين الغبطة والشّجن في كفّتين متساويتين."[77]

في هذه الازدواجيّة توتّرٌ وتواتر.

المنسيّ العرضيّ الذي يعجز الإفصاح أن يقبض عليه بكلماته ولغاته من جهة، والمُعبَّر عنه مَنطوقًا، الذي يُبتغى نسيانه ومَحوه بكونه ممتلئًا وإقفاليًّا، من جهة ثانية.

هذا هو الطّيف.

هذا هو المحرّك الجُوّانيُّ لهاملت (الذي ما يزال، في هذه المرحلة من المسرحيّة، سلبيًّا) في علاقته مع "الفعل":

"الطّيف: أراكَ متهيّئًا للعمل،

---

[76] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الخامس، ص 60. (الحديث للطيف مخاطبًا هاملت).

[77] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 37.

ولكنتَ أبلدَ من العشب
السّمين
الذي يعفن مسترخيًا على
ضفاف "ليذي"
لو لم يُثِرْكَ ما أقول. <...>"[78]

وفي مَعْرِضٍ آخر، حيث يختلي هاملت بأمّه، يزوره الطّيف في محاولة جديدة لاعتراض النسيان والفتور:

"الطيف: لا تنسَ! ما هذه الزّيارة إلاّ
لشحذ عزمك الذي كاد يفلّ."[79]

وبعد أن يُفصح الطيف عن قصّته، يؤكّد هاملت عزمه على عدم النسيان، رغم ثِقل المعاني المرافقة لهذا العزم الذي لا يتوافق، على ما يبدو، مع الرّغبة.

في هذا العزم. الوعد، شكلٌ من أشكال التّوتر والصّراع الذي يخوضه هاملت مع نفسه، وفيه كذلك تتجلّى حركة التفاعل والتّحوّل في شخصيّته المعقّدة والمُرتجفة بين نقائض وأقطاب تتواتر وتتخابط:

"<...> ألا تبًّا! تماسك أيّها القلب،
وأنت يا عضلاتي، لا تشيخي في طرفة عين،
واحمليني، وإن تتيبّسي! لا أنساكِ؟

---

[78] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الخامس، ص 61.
و"ليذي" هو نهر النسيان في العالم السُّفليّ (الشّرح من المصدر).

[79] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الثالث، المشهد الرابع، ص 142.

أجل، أيّها الطّيف المسكين، ما دام
للذكرى مكان
في هذه الكرة المشوَّشة [يُمسكُ رأسه بيديه]
لا أنساك؟ ..."[80]

كما تطلّ من شُرفات هذا النصّ ملامحُ العلاقة الوطيدة بين الذّاكرة والضّمير، هذه العلاقة التي لا يكتمل مثلّثها إلاّ بانضمام "الحُلُم"، كما سنوضّح في سياقٍ لاحقٍ.

[80] المصدر السابق، (ج.أ.ج.، "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الخامس، ص 64.

ازدواجيّة القيادة والانقياد: فعلُ عُبور

يُطِلُّ الطّيف، بما يمثّله من حالة عُبور، على دلالاتٍ جُوّانيّة، يسعى خطاب السّلطة الاستلابي إلى إسكاتها.

هذه الدّلالات وتلك الجُوّانيّات إنما تشكّل حيّزًا معرفيًّا يعمل على ترسيخ الاختلاف والافتراق، بل والانحراف عن مركز دائرةٍ يُراد لها وبها أن تكرّر ذاتها في عمليّة التفافٍ انغلاقيّ.

تحدّثنا مليًّا عن حريّة هاملت بوصفها شَرطًا لانكشاف الطّيف، فبات صعبًا الفصل بينها وبين الآليّات التي يُفصح فيها الطّيف عن نفسه.

لقد حاول هاملت، في صراعه الوجوديّ، (وربما على خلاف فَهم الكثير من النقاد لهذا الصراع)، أن يُمكّنَ حرّيتَه بأن تبلغ أقصى درجات التماثل مع حقيقة الطيف؛ مع الحقيقة الغائبة بمعناها الشّموليّ، وها ما يفسّر استسلامه التام أمام انكشافات الطّيف وتجلّياته.

في هذا السياق يعجبني إيراد ما جاء به م. هايدجر:

"إنّ الوافقة التّقبليّة، أي التّعرّض الخارجي أمام الموجود في كليّته لا يمكن أن تكون "مُعاشة" و"محسوسة" إلاّ لأن "الإنسان، وهو الكائن المزوَّد بإحساس وشعور" قد أسلم نفسه لموافقة كاشفة للموجود في كليّته، دون أن يستشعر ماهيّته هذا التّهيّؤ التقبّلي".[81]

[81] المصدر السابق، مارتن هايدجر، "التقنيّة-الحقيقة-الوجود..."، ص 29.

وإني لأرى أن هذا التوافق بين فكرة هايدجر و"هاملت" شكسبير، متجسّدًا في خطاب هاملت الابن إلى أمّه، حين أكّد أهميّة "الحساسيّة" عنده، وحين شدّد على أن فقدانها يشكّل أساس مأساة عقليّتها وعقليّة من معها:

"فالعُرفُ وحشٌ يلتهمُ كلَّ حساسية"[82]

الطّيفُ يَقُود!

هاملت . الوسيلة. هاملت . مكان العبور، يَنقادُ، في سَعيِ الحقيقة الصّامتة . الطّيف، لتخطّي ساعة السّكون إلى ساعة الألم والتّحوّلات الكبرى، نحو "حُضورٍ مؤَجَّلٍ"؛ عبر "معموديّة النار" والتطهُّر بـ"الكبريت والعذاب":

"هاملت: إلى أين تبتغي اقتيادي؟

<...>

الطيف: أنظر إليّ.

هاملت: أجل.

الطيف: دنت ساعتي التي

عليّ فيها أن أسلّم نفسي

لنيران الكبريت والعذاب."[83]

---

[82] المصدر السابق، "ج.إ.ج. "وليم شكسبير...."، الفصل الثالث، المشهد الرابع. ص 145.

[83] المصدر السابق، "ج.إ.ج. "وليم شكسبير...."، الفصل الأول، المشهد الخامس. ص 59، 60.

الطّيف، كما قلنا، حيّزٌ معرفيّ لكنّه قلقٌ، يستقصي ويسافر في رغباته ومُعاناته، غير معنيٍّ بأيّ شكلٍ من أشكال الاستقرار المُشيّد للثّبات أو التّصريح. من هنا، فهو ليس صَرْحًا، بل "خرابًا"؛ إنّه سَعيٌ دائمٌ، عبرَ تحوّلات الجوع والاحتراق، إلى التّطهّر:

"الطيف: أنا رُوحُ أبيكَ،
وقد حُكمَ عليّ أن أطوفَ في
الليل زمنًا؛
وفي النهار، بأن أتضوّر جوعًا
في اللُّهُبِ
إلى أن يحترقَ ما اقترفته من
الآثام
في حياتي الدُّنيا، فأطْهُرَ
منها."[84]

الطّيفُ خطابٌ ليليٌّ يعمل بصمت. خطابٌ يُخطُّ بإزميلٍ أسود، يفعلُ فعلَ الكتابةِ فوق "بياض" هاملت ويحفر في وجدانه. والكتابة، في البدء، حَفرٌ، وهي عصارةُ رغباتٍ وآلامٍ تخلخل نفسَ الإنسان في صراعاته مع نفسه واغترابه داخل عوالمه المتشعّبة، المليئة بالتّناقضات. أليس كذلك؟

[84] المصدر السابق، "ج.إ.ج. "وليم شكسبير...."، الفصل الأول، المشهد الخامس. ص 60.

هذه الكتابةُ . الحفرُ، فعلُ عبورٍ واجتياز، ما يُحيل إلى طبيعة هاملت المأسورة بالعبارة والمجاز. فالحقيقة المجازيّة حقيقةٌ تبحثُ عن ذاتها داخل مجازاتها؛ حقيقةٌ مشتّتةٌ. حقيقةٌ تتواصل عبر سلاسل من التقطّع والانفصال. حقيقةٌ تستوطن في أرض منفاها. لذا، فإن هذه المعرفة . الحقيقة، الطّوافة (في هيئة الطيف) سرابيّة متردّدة، ووهميّة عدميّة مقارنة بحقيقة بولونيوس المتعالية الواثقة:

"بولونيوس: اقطع هذا عن هذا (مُشيرًا إلى
رأسه وعنُقه)، إن لم
يكن الأمر كما أقول.
فإذا لم تتمنّع عليَّ الظّروف،
اكتشفت
مكمن الحقيقة، حتى وإن
اختفت
في باطن الأرض."[85]

هذا هو طابع خطابِ السُّلطة . خطاب "الإجماع المُشترك": خطابٌ استلابيٌّ خُلاسِيٌّ متعالي ومُتيقّن، لا يدع هامشًا للسؤال والشّكّ. في حين أن الحقيقة الأخرى في "هاملت" . الحقيقة الغائبة، بفعل الموت، فنّيًّا، وبفعلِ طُغيان الخطاب السّائد عمليًّا، تملك لغةً، في طابعها وطبيعتها، مختلفة. هذه

[85] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 83.

"الحقيقة" المتمثّلة بالطّيف تأبى، منذ بداية تشكّلها، الإفصاح والنّطق، حتى لو أنْطَقَها شكسبير لأسبابٍ فنيّة:

"هاملت: ألم تخاطباه؟
هوراشيو: أنا خاطبته يا سيّدي.
لكنّه لم يحر جوابًا. ولو أنني
ظننتهُ مرّةً
أنه رفع رأسَه وأتى بحركةٍ كأنه
يريد الكلام.
لكن في تلك اللحظة نفسها
صاح ديكُ الصّباح عاليًا،
فانكمش حال سماعه الصّوت
واختفى عن أعيننا."[86]

"إرادةُ قولٍ" تنكمشُ أمام طُغيان الصّوت الصّائح عاليًا، لكنّها ليست إرادة عاجزة، هكذا أرادها شكسبير: إرادة مُدجّجة بالسّلاح، إرادة عزيزة وجليلة.

"هوراشيو: في ليلتين متعاقبتين، وفي أثناء
الحراسة،
عند منتصف الليل الرحيب
الدُّجى،
تصدّى لهذين: مرسلس

[86] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 46.

وبرنردو،
شبحٌ على هيئة أبيك
مدجّجٌ بالسّلاح، يمشي الهُوَيْنا
مشيَةَ العزّ والجلال..."[87]

ولكنها، وإن أفصحت في سرّها الطّيفيّ، فإنها لا تُنجز شيئًا: إنها "حضورٌ ناقصٌ" يحتاجُ إلى فاعلٍ، إنها أداة سؤالٍ ("... فإنّك آتٍ في شكلٍ يُثيرُ السّؤال")[88]، تحرّض على الفعل وانفعال الوجدان.

الفاعل هنا هو هاملت ووجدانه هو حلبة الصّراع، فهاملت لا يتحرّك إلاّ بفعل الطّيف/ المُحرِّض غير آبهٍ بالثّمن:

"هاملت: إذا تقمّصَ شخص أبي النبيل،
فإنني سأخاطبه ولو فتحت
جهنّم فاها
وأمرتني بالصّمت."[89]

هكذا، وبفعل الطّيف، بما يمثّله من إرادة قولٍ ومن رغبة جامحة للإقصاء، ومن معاناةٍ تُقاوم، يكسر هاملت صمتَه؛ المسكوتُ عنه، يتهيّأ للبَوْحِ في "انفعالٍ" مُثيرٍ لـ "الحقيقة الغائبة"، والمسرح هو وُجدانُ هاملت . هاملت الذي يعي، رُغم

---

[87] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 45.

[88] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الرابع، ص 57.

[89] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 47.

"انفعال الحقيقة الغائبة" داخله، أنّ "الصّمت" (في هيئة الطّيف) يستدعي الإدراك لا القول؛ يستنفر الاصغاء لا الضّجيج:

" <...> ومهما يجدث الليلة
امنحوه إدراككم لا اللسان
<...>"[90]

وأخيرًا، "الصّمت". الطّيف، مُنفعلًا داخل وُجدان هاملت، هو صوت "الجنون" مُقابل "الصّوت" . الصّياح الدّيكيّ، مُنتَظِمًا في حناجر الاستلابيين؛ حناجر العقل السّائد.

وهذه مسألةٌ يجدر تأويلها. فـ"الجنون" لعبة شكسبير وخياره العبقريّ الذي يشكّل أهم محاور المسرحيّة وأكثر ملامح "الصّمت" إثارةً وعُمقًا.

[90] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 48.

حقيقةُ الصّمت وحقيقة الصّوت بين الذّرائعيّة والرّفض

منذ البداية، يضعنا شكسبير أمام طبقتين متناقضتين من النصوص، في أقلّ تقدير؛ نصٌّ يدّعي امتلاك الحقيقة ويُسمّي الأشياءَ بغير أسمائها، مثبّتًا مرجعيّاته، خالقًا حقيقته الخاصّة، مُقابل نصٍّ حائرٍ يبحثُ ويتساءل، وفي كلّ حقيقةٍ يصطدم فيها، يجدُ معها ما يعدمها.

نحن إذن أمام صوتٍ يسعى إلى تقويض "الحقيقة الغائبة"، متمثّلًا بطائفة المتآمرين والقتلة (الملك، بولونيوس، الملكة...)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، وهذا جانبٌ يهمُّنا لكنّه ليس الوحيد في النصّ، صوتُ هاملت من حيث هو الإنسان الذي يتمتّع بـ"مستوى روحيّ عالي مرغم على العيش وسط الناس الواقعيين في مستوى منخفض للغاية".[91]

إن الصّوتَ، في سعيه إلى تأكيد ذاته بوصفها حضورًا مُمتلئًا للوعي، إنما يتحوّل إلى شكلٍ من أشكال المعرفة المُطلقة. إلى ميتافيزيقا، وبالتالي إلى إقفالٍ وانغلاق.

كيف نتتبّع ملامح الصّوت الأول، صوت "السُّلطة"، صوت من يخلقون حقائقهم ويتحدّثون باسمها على أنها "الحقيقة"؟

---

[91] تاركوفسكي، السينما والحياة، ترجمة وإعداد: باسل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دمشق 1991، ص 169.

منذ البداية ونحن أمام نصٍّ . صوتٍ براغماتيّ (متبصّر) يصمّم سلوكَه وعاداتِه كي (يُصارع الطّبيعة):

"لئن تكن ذكرى موتِ أخينا الحبيب
هاملت بعدُ خضراء <...> فإنّ التبصُّرَ ما
زال يُصارع الطّبيعة..."[92]

فعن أيّ تبصُّرٍ وعن أيّة طبيعةٍ يتحدّث هنا كلاوديوس؟

"التّبصّر" discretion الذي يعني: صوت السُّلطة الحاضرة في صراعها مع "الطبيعة" nature التي هي (صوتُ) الحقيقة الغائبة، أي الصّوت غير القادر على الإفصاح، الصّوت المُحتَجَب، وبكلمةٍ واحدة: الصّمت.

الصّوتُ الأول ينطقُ بما يتمنّى للحقيقة أن تكون عليه، أما الصّوت الثاني فينطق بالرّفض، مخلخلًا ما يُرادُ له أن يثْبُتَ مُطمئنًّا:

"الملك: مالي أرى السُّحبَ ما زالت
مُخيّمةً عليك؟
هاملت: لا يا سيّدي، بل إنني في
في الشّمس أكثر مما ينبغي."[93]

---

[92] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 36. (العبارة للملك).

[93] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 39.

كذلك، فالصّوت الأول يؤكّد في تساؤلاته حالة الرُّعب التي يعيشها، خوفًا من انجلاء الحقيقة؛ خوفًا من تحويل "ما يُرجى أن يكون **عاديًّا**" إلى شيءٍ **خاصّ**:

"الملكة: <...> أنت تعلم أنه أمرٌ
عاديٌّ: ما من وحيٍ إلاّ ويموت
يومًا عابرًا خلال الطبيعة هذه
في اتّجاه الأبديّة.
هاملت: أجل يا سيّدتي، إنّه لأمرٌ عاديّ.
الملكة: إذا كان عاديًّا، فلمَ يبدو لي
كأنه أمرٌ خاصٌّ لديك؟
هاملت: يبدو لك يا سيّدتي؟ إنه ولا
رَيْب أمرٌ خاصّ."[94]

نعم، يوافق هاملت في البدء على أنه أمرٌ عاديّ، ذلك الذي تريد له (الملكة) أن يكون عاديًّا؛ إنه ذلك "الصّوتُ الممتنع" الذي لا يُفصح لأجلِ الإفصاح، هكذا مجّانًا، لكنّه يُفصح في سبيل المواجهة وفي سبيل الرّفض؛ إفصاحٌ يُمارسُ "ساديّة الحقيقة" في مواجهة من يعملون على طمسها. هكذا يختار هاملت، بعد

[94] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 39.

أن تعرَّت مخاوف أمّه أمامه، (أمه التي يشبّهها بنايوبي)[95] أن يُنهي مناورته بأن يؤكّد ما يُخيف، أن يغلّب الخاصّ على العاديّ.

وتتطوّر محاولات اغتصاب "الخاصّ" غبر إضفاء "العاديّة" عليه، في خطابٍ يُلبِسُ "العاديّة" عباءَة السّماء وقدريّة الموت وبداهة الطّبيعة؛ خطابٌ يُصادرُ فعلَ الصّمت بوصفه فعل مقاومة:

"الملك: جميلٌ من طبعك وحميدٌ يا
هاملت
أن تقومَ بشعائر الحداد هذه من
أجل أبيك.
ولكن عليك أن تعلم أن أباك
فقد أبًا له،
<...> إنّه حزنٌ لا يليقُ بالرّجال
يدلّ على إرادةٍ تمرّدت على
السّماء
<..>
فحين نعلم أن أمرًا ما كان
مقضيًّا،

---

[95] "زوجة ملك ثيبة، قتل أبناؤها السبعة وبناتها السبع، وفي بكائها استجاب زفس لرجائها بأن حولها إلى تمثال من حجر يذرف الدّمع طيلة الصّيف." (الشّرح من المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، ص 43.

وإنه شائعٌ شيوع أيّ شيء
عاديّ نعرفه،
لم نحزن ونصرّ على مقاومته
فنجعله
يحزُّ في القلب؟ استحِ يا ها،
إنّه لإثمٌ تجاه السّماء،
إثمٌ تجاه الموتى، إثمٌ تجاه
الطّبيعة..."[96]

إذن، فالتّشكيك بالمقاومة، من حيث هي ملجأ الحقيقة الأخير.
الصّوت، بما هو إفصاحٌ فهو "سُكوتٌ عن". سكوتٌ عمّا لم يُفصَحَ عنه. الصّوتُ هنا لغةُ "سُلطةٍ ما" ترغب في إسكاتِ "حقيقةٍ ما"، تقرّر في خطابها (عادات الدُّنيا) في مُواجهة ما سُكِتَ عنه، في مواجهة "إرادة القول"، في مواجهة الصّمت:

"<...> يا ليت الأزليّ لم يضع شريعته
ضدّ قتل الذّات. ربّاه، ربّاه.
ما أشدّ ما تبدو لي عاداتُ الدّنيا هذه
مُضنية، عتيقة، فاهية، لا نفع منها.
ألا تبًّا لها! تبًّا تبًّا لها! <...>"[97]

---

[96] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 40، 41.

[97] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 42. (العبارة لهاملت).

في هذا النّوع من الحوارات، إنما تتكشّف استراتيجيّة شكسبير في خلق مُستويَيْن من الوعي وطبقتين، على الأقل، من النصوص . الأصوات. إلاّ أن صوت هاملت يبقى في حضوره مُمثّلًا للغياب . الغياب الذي لا يمكن لأيّ فعلٍ تمثيليٍّ أن يكشف عن حقيقته:

"<...> لا عباءتي الحالكة وحدها يا أماه،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التّنهُّدات العاصفة من ضيق النّفس
لا، ولا النّهر السّخيّ من العين
ولا غضون الغمّ في المُحيّا
كلّ ما للحزن من أشكال وحالات
ومظاهر،
بكفاية للدّلالة على حقيقتي. هذه كلّها
تبدو ولا ريب،
لأنها أفعال بوسع المرء تمثيلها:
غير أن في نفسي ما يعجز المرء عنه كل
مظهر <...>"[98]

إن الصّوت المتمثّل في الملك ومن معه، يستخدم أسلوبًا براغماتيًّا رخيصًا يتراوح بين الرّغبة في إحلال واقعٍ مُضِجٍّ يطغى على صمت حقيقةٍ مُهدّدةٍ من جهة، وبين الإغواء والترغيب من جهة ثانية:

---

[98] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 40. (العبارة)

"<...> نرجوك إذن أن تلقي عنك أرضًا
بهذا الحزن الذي لا يُجدي، واعتبرنا
أبًا لك. ولإني لأصرّح على الملأ
بأنّك خلفي على العرش؛
ولأحنونّ عليك بحبٍّ نبيلٍ
لا يقلّ عما يكنّه الأب لابنه العزيز."[99]

لكنّ الصّمت يعي، هنا، قوّة إحجامه عن البَوْح، رُغمَ هذا الإحجام:
"<...> ولكن تحطّم أيّها القلب. عليّ أن
أمسك لساني عن القول."[100]

دراما شكسبير دائرةٌ، منذ اللحظات الأولى، بين الصّوت الحاضر من جهة، وبين الصّمت الغائب من جهةٍ ثانية؛ الصّوت الحاضر، متمثّلًا في زفاف أرملةٍ إلى أخي زوجها، يتداخل مع الصّمت الغائب متمثّلًا في جنازة الأب المغدور. لكن، الغائب لا يمكنه مواجهة الحاضر بأدوات الغياب، فكان لا بدّ من "الطّيف".
الطّيف/ الغائب، يأخذ شكلَ مُحرّكٍ باطنيٍّ لفعل المقاومة عند هاملت، فلولا (ظهور) الطّيف، لما أخذ صمتُ هاملت صورة الفعل، ولولا انبعاث الطّيف في

[99] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 41. (اختار المخرج الإيطاليّ فرانكو زفرلّي هذه العبارة ليستهلّ بها فيلمه الشهير "هاملت").
[100] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 43. (العبارة لهاملت)

(بصيرة) هاملت، لما استحال إلى لحظة ارتجاجٍ تتألّم وتموت بين واقعٍ يُهيّءُ حضورَه، وغيابٌ يتكبّدُ "الحقيقة":

"<...>

أبي. أظنّ أنني أرى أبي.

هوراشيو: أين يا سيّدي؟

هاملت: في بصيرتي."[101]

[101] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 44.

"أكون أو لا أكون"

الوجودُ الصّامتُ والوجودُ المتداول

يرفضُ هاملت أن يفهم ذاته على أنها وجودٌ إقفاليٌّ نهائيّ، فسار في مسار البحث عن معنى وجوده الإنسانيّ الفعليّ، فكان عليه أن يتعلّم مُساءلة الوجود والخَوْض في معانيه.

"أكون أو لا أكون"، ليس سؤالا وحسب، لكنّه القلقُ. الشُّعلةُ، الذي يخوض في معنى الكينونة وجوهر الوجود: أهو الوجودُ المتداول. الحاضرُ المحضُ، أم هو حضور الغائب أو الكائن غير المتحقّق بعد، ووقعُ الفراغ فيما يبدو ظاهرًا للعيان؟

هكذا، ومن أجل أن يفهم نفسَه، توجّب على هاملت أن يخوض معركته مع هذه النّفس ذاتها، فكيف كان لينتصر عليها دون أن ينهزم في الآن ذاته؟

"ماذا يعني الوجود؟ <...> لأن فهم الذّات قد قدّم عرضَه على أنه الأساس الحقيقيّ لهذا التساؤل. ومن هذا الأساس يتّضح الإدراك الوجوديّ للميتافيزيقا التّقليديّة بوصفها شكلًا من سقوط الإدراك الوجوديّ الأصليّ النّشيط في الوجود الإنسانيّ الآنيّ. فالوجود ليس حضورًا محضًا ولا وجودًا راهنًا. ففي فعل "كان أو فعل الكينونة" يكمن الوجود الآنيّ التاريخيّ . النّهائيّ Dasein geschichtliche Das endlich. إذن فقد صار للمتداول في تصميمه في العالم مكانه فيه. وفي النهاية كان الوجود. لا غيره Das Nur-Vorhandene.[102]

---

[102] مارتن هايدجر، "أصل العمل الفني"، ترجمة د. أبو العيد دودو، منشورات الجمل، المانيا، الطبعة

في أسئلة هيدجر ما يمكن الاستعانة به لكشف بعض إمكانات تأويل نصّ شكسبير وأسئلته التي سبقت الفلاسفة الأوروبيين الوجوديين بقرون.

"أأكون أو لا أكون؟ ذلك هو السؤال.
أمن الأنبل لنفس أن يصبر المرء على
مقاليع الدّهر اللئيم وسهامه
أم يُشهر السّلاحَ على بحرٍ من الهموم،
وبصَدِّها يُنهيها؟ <...>[103]

في هذا السؤال يكمن معنى الوجود عند هاملت، فالوجود هو "السؤال عن الوجود"، وبغير المُساءلة والبحث سعيًا إلى فهم ما للذات، لا وجود للنفس البشريّة.

هاملت لا يسأل ليقرّر في النهاية أيّ من شقّيّ السؤال يجيب عن حاجته، بل يؤكّد أنّ حاجتَه تبدأ في السؤال ومنه، وأنّ مُعايشة قلق السؤال هو ما يمنح وجوده المعنى، وربما لا غاية ولا مسعى خارج هذه التوتّرات القلِقة والتّحوّلات المتأجّجة. ولا شيء يبرر ما فهمه بعض النّقاد والمحللين من هذا السؤال الوجوديّ العميق والمركّب، من أنّ هاملت يفكّر في الانتحار والموت وما شابه

الأولى، 2003. (الإقتباس من مدخل هانس جيورج غادامر للكتاب، ص 32 – 34).

[103] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 107.

ذلك من أمورٍ بعيدة عن جوهر الموضوع. فها هو جبرا ابراهيم جبرا، على سبيل المثال لا الحصر، وهو صاحب الترجمة الرائعة التي اعتمدها في هذه الدّراسة، ها هو ينحصر في هذا النوع من الفهم الذي لا يحيط بتركيبيّة السؤال من وجهة نظريّ، ويقول في مقدّمته النظريّة للترجمة، مُعقّبًا على سؤال هاملت:

"... إنه يتساءل عن الانتحار. وهو لا يتساءل عنه، لأنّه يفكّر في مقتل أحد، بل لأن فيه هوسًا بقضيّة الحياة والموت. والتنفيذ الذي يذكره هنا، ليس تنفيذ الانتقام، بل الانتحار. غير أنه يتساءل أليس الانتحار محاولة للتخلص من عبث الحياة المرير إلى مجهول قد يكون العبث فيه أمرّ؟"[104]

هل يمكن قتل هاملت بطريقة أبشع من هذه؟ أيّ انتحارٍ هذا الذي يمكن لإنسانٍ، في أوج عناقه مع الحياة والوجود عبر أكثر الأسئلة حياةً وكينونةً ووُجدانًا، أن يفكّرَ فيه؟ وكيف يمكن الخلط بين رغبةٍ مالنخوليّة سوداويّة يائسة، لا تعبّر عن هاملت، وبين حالة التأمّل في الحياة ومعانيها التي يُسافر فيها ومعها بطل شكسبير المحض إنسانيّ؟

نعم، يستحضر هاملت الموت والعدم في سؤاله، ويُساءل الوجودَ عن خيار اللاوجود، ليؤكّدَ ما في وعيه العميق وإدراكه المُرهف عن معنى الوجود الذي لا يكون حاضرًا إلاّ بما يغيّب، ولا كينونة له إلا فيما ينفيه. فما دليل الموت وبرهانه غير الحياة نفسها، الحياة المتخمة والمُثخنة بظلال الموت؟!

---

[104] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، المقدّمة، ص 15.

هاملت غير معنيّ بالموت بوصفه حدثًا، ولا بوصفه مَهربًا، ولا بوصفه كائنًا في ذاته، لكنّه معنيٌّ بالموت. الغياب على قَدْرِ ومِقْدارِ حُضُورِهِ في الحياة؛ إنه يقف مُتروّيًا أمام سؤال الموت. سؤال الحيّ عن الموت، سؤال ما "تُفصحُ الحياةُ عنهُ"، عمّا "يصمِتُ الموتُ عنه". بل وأكثر من ذلك، فإنه يرفض، في تنويهٍ متكرّرٍ يُلازم وعيَه، الموتَ بوصفه شيئًا نهائيًّا ومُقفَلًا، فلا يفتأ ينطق كلمة "الموت" إلاّ ويُتبعها بكلمة "النّوم"، وكأنه بهذا القِران إنّما يرى إلى الموت وجهًا من وجوه الحياة وكُنْهًا داخل كُنهِها الأوسع، بل ذلك الجزء الحيّ في تفاعُلاتها ودوافعها وملامح تحوّلاتها:

"نموتُ ... ننامُ...
وما من شيء بعد ... أنقول بهذه النّومة نُنهي
لوعةَ القلبِ، وآلاف الصّدمات التي
من الطّبيعة تعرض لهذا الجسد؟ تلك غايةٌ
ما أحرّ ما تُشتَهى. نموتُ ... ننامُ...
ننام. وإذا حلُمنا؟ أجل لعمري، هناك العقبة.
فما قد نراه في سُبات الموت من رؤى،
وقد ألقينا بفانيات التلافيف هذه عنّا،
يوقفنا للتّروّي."[105]

إذن، فَلْنُناقش الموضوعَ بمزيدٍ من الأدوات، ولكن ليس قبل أن نتنبّه إلى السّياق أو اللحظة التي اختارها شكسبير لهاملت كي يسأل سؤالَه الشّهير هذا. فهناك

[105] المصدر السابق (ج.إ.ج. "وليم شكسبير...)، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 107.

مواقفَ كثيرة في المسرحيّة تستدعي مثل هذا السؤال في مستواها الدرامي واحتداميّتها، لكن كاتبنا اختارَ لحظةً بعينها، هي لحظة اللقاء بأوفيليا، وهذا لا يمكن أن يتمّ صُدفةً عند كاتبٍ مثل شكسبير.

أوَلا يستدعي هذا الاختيار وقفةً تحليليّة؟

من هي أوفيليا؟ ماذا تمثّل بالنّسبة لهاملت؟ كيف تتفاعل هذه الشّخصيّة مع تحوُّلاتِ هاملت؟ كيف أصبحت دافعًا لأكثر الأسئلة الوجوديّة توهُّجًا في تجربة هاملت الإنسانيّة الوُجدانيّة؟

أوفيليا أو مناسبةُ الرَّغبة

"ليْتَ بظَاهِرِ وَجْهي إيضاحًا أبْلغ قَوْلًا
وَلْيُنْبِيء ذَاكَ الأبْكَمُ فِعْلًا عَنْ حُبّي النّاطِقْ
فالمَظْهَرُ يَدْعُو دَعْوَى الحُبِّ ويَنْشُدُ وَصْلًا
أكثر مِنْ أيّ لِسَانٍ، أعظم منْ حُبٍّ فائِقْ
فَتَعَلَّمَ أنْ تَقْرَأ ما كَتَبَ الحُبُّ الصَّامِتْ
فَسَماعُ العَينيْنِ دَليلُ ذكاءِ الحُبِّ الثّابِتْ[106]

As an unperfect actor on the stage
Who with his fear is put besides his part,
Or some fierce thing replete with too much rage,
Whose strength's abundance weakens his own heart.
So I, for fear of trust, forget to say
The perfect ceremony of love's rite,
And in mine own love's strength seem to decay,
O'ercharged with burden of mine own love's might.
O, let my books be then the eloquence
And dumb presagers of my speaking breast,
Who plead for love and look for recompense
More than that tongue that more hath more express'd.
O, learn to read what silent love hath writ:
To hear with eyes belongs to love's fine wit.

[106] مُجْتَزَأ من السونيتا رقم 23 لشكسبير.

أوفيليا أو لحظةُ انفعال الأولى

لحظةُ انفعال الأولى وقعتْ في شِباكِ الخطابِ الاستلابي بوصفِهِ سِياقًا وفضاءً تتداعى فيه وتُكَرَّسُ لأجلِه.
لا يُمكن تحليل علاقة هاملت بأوفيليا خارج هذا السّياق ولا بعيدًا عن فضائه، لكنْ، هل يُمكن استعادة هذه اللحظة انطلاقًا من هذه التّداعياتِ وتلكَ التّكريسات ذاتها؟

أوفيليا، ذُكوريًّا، غير موجودة خارج فضاء هاملت.
هاملت، ذواتيًّا، غير كائنٍ ولا مُتفاعل خارج الخطاب الاستلابي و"مُقْتَضَياتِ" السُّلطة.
فما الذي ينقصنا تحليليًّا لتفكيكِ العلاقة المُفْتَرَضَةِ بين ما يشكّله هاملت كمُنطَلَقٍ وما تمثّله الحَلَبَةُ التي يتشكّل داخَلَها وُجوديًّا، هذا من جهة، وبين ما يُتيحه فهمُ أوفيليا الإنسان وأوفيليا الأنثى بوصفها أحد أبلغ تجلّياتِ الصّمت، من جهةٍ ثانية؟
على كلّ حالٍ، وقبل الخوض في البحث عن إجابةٍ لهذا التساؤل، ربما، علينا أن نفهم "الصَّمتَ" هنا على أنَّهُ "فاعليّةٌ" تعملُ على فضح آليّاتِ إسْكاتٍ فاعلةٍ في الجهةِ الأخرى المُفْصَحِ عنها، يصعُبُ تفكيكها أو حتى كشفها داخل تعقيدات التّداعيات التي تشكّل خضمَّ الخطاب الاستلابي: هذا ما يشْغَلَ الاستلابيين في

دأبِهم لوضعِ حَدٍّ لهذه "الفاعليّة" . فاعليّة الصّمت، من خلال إرجاعِ أوفيليا إليهم وتمثيلهم لها ووصايتهم على شُعورِها، وأفكارها، وكيانها، ووجودها.
لقد نجح الاستلابيون في تحويل "لحظةِ انفعال الأولى" إلى مسار شائكٍ من التّداعيّاتِ الخاضعة لمُقتضياتِ السُّلطَة وخطابها. ولكن هذا "النّجاح"، وإنّ تحقّقَ بالإرجاعِ والوصايَةِ والإسْكات، فقد أخفق في العُمْق.
فكيف يمكن تحقيق انفتاح والحريّة المسؤولة والإنْسُقُوط عبر الإسكاتِ؟ وكيف يمكن الوُلوج إلى "لحظة انفعال الأولى" عبر الوسائل والتّداعيات ذاتها، التي دأبت على إخراسها واستبعادها؟
وإن كان تَداعي لحظة انفعال الأولى مُمكنًا، فكيف يُفهَمُ الإنْسُقُوط في سياق هذا الإمكان. الإنْسُقوط بوصفه انفتاحًا على الخطأ (أو الخطيئة)؟
ماذا هناك داخل لحظةِ انفعال الأولى، حيث يتشكّلُ الوَعيُ/ وعيُ الذّاتِ بكونِها ذَواتًا، وحيث يسعى الوَعْيُ إلى صيغةٍ ما من الانسجام والتجانس بين الذّوات المتعدّدة؟ ماذا هناك، حين يُسْكَتُ الإنسُقوط، وحين يكشِفُ الوُجدانُ عن دلالَةٍ جديدة لعدَم الانسجام؟
"اللا-انسجام" عهدناه في تشكيلة ذواتِ هاملت؛ هاملت الإنسان؛ هناك، في لحظة انفعال الأولى يكون اللا انسجام مَرْجِعًا لِذاتِهِ، ويكونُ الوَعْيُ وَعْيًا للحْظَةِ انفعال الأولى ذاتِها.

بين الخطاب الاستلابي النّازع إلى تكريس المَوْجُود عبر السّيطرة عليه، متمثّلًا في السُّلطويّين، وبين الإصغاء إلى الصّمت الرّامي إلى مُعايَشَة الوُجودِ من خلال

مُساءلَتِهِ، وهنا تحديدًا، ومن انكشاف هذه الجدليّة داخل العلاقة بين "عُذريّة" لحظة انفعال الأولى وبين تداعياتٍ اخْتُلِقَتْ لإخضاع هذه اللحظة لمُقتضياتِ الخطاب السُّلطويّ، بين هذا وذاك وفي خِضَمِّ الصِّراع، تتلاشى المسافةُ بين العقليّ والحسّي تكريسًا للجنون. جنون أوفيليا من جهة وجنون هاملت من جهةٍ ثانية، في سيرورةِ تخَطٍّ للذّات نحو الالتقاء بالآخر.

يبقى السؤال: هل أوفيليا موجودة حقًّا، أم أنها أحد تجليّات وُجدان هاملت، كما هو الطّيف، وكُلٌّ على طريقته؟ وهل نحن إزاءَ جُنونَيْن أم جنونٍ واحدٍ؟ وهل نفهمُ الكلام الحِواريّ بين هاملت وأوفيليا خارج حركيّة وجدليّة ذواتِ هاملت داخل وُجدانِهِ المتصارع هو ذاته؟

العُنصر الثّابت في لحظة التقاءِ "الجُنُونَيْن" هو المُناوَرَة. فهي أفضلُ شكلٍ يتناسب مع طبيعة المشروع السُّلطويّ. لكن، طبيعة تكوين المُناورة اللا-انسجاميّ يجعل من هاملت ومن أوفيليا موضوعينِ لتخطّي الذّات في حسابات خطابٍ سلطويّ يقوم هو نفسُه بتشكيلهما وإخضاع حركتهما لمدارِهِ.

إذن، فإنّ لحظةَ انفعال الأولى، حين تشرَعُ في وَعْيِ ذاتها، إنما تخضَعُ للضَّعْفِ مُستَبْطِنَةً اللا-انسجام، راضخةً للسُّقوط في فاعليّة الإسْكاتِ والوِصايةِ والإرْجاع، محمولةً في تابوتِ "الفَوْق إنْسانيّ"، حيث "العُرْضَةُ للخطأ" هي البوصلة الموجّهة، وليس "انفتاح على الخطأ".

من هنا، لم يكن ممكنًا موتُ أوفيليا غير ملحوقٍ بموت هاملت.

ذُكوريًّا ومجازًا، قد تمثّل أوفيليا تجسيدًا ما، بوصفها أنثى، لتحوّلات هاملت من البِيُوس إلى اللّوغُس؛ من عَيْش الوُجود إلى السّيطرة على المَوجود، عبر قَطْعِهِ بين لحظة انفعال الأولى (متمثّلةً في حبّه لأوفيليا) وبين تورّطه في منظومة السُّلطة ولو من مَوْقع المُصارِع والمُقارِع.

فيما نبحثُ إذن؟

في حركيّة العلاقة المُتَواترة بين هاملت وأوفيليا. بين هاملت وأحد تمثيلات ذواته المتعدّدة، حيث يسعى هاملت، ربّما، عبر أوفيليا، إلى إقْصاءِ فاعليّة الإسْكاتِ والوِصايةِ، إلاّ أن هذا السّعي إلى الإقصاء هو ذاته ما يجعل تشكّل هاملت مُرْتبطًا بمضامين فاعليّة الإسْكات، مَوْسُومًا ومَوْصُومًا بخطابِ الوصاية، دائرًا في مَدارِها، عالقًا في ثنايا لغتها الباثوسيّة.

هنا بالذّات تكمن مُعاناة أوفيليا (وهي في أحد أوجهها معاناة هاملت نفسه)، حيث ليس كما في السّماء، ولا كما على الأرض، بل هناك، في الوسط المتوتّر بينهما وبهما، تكونُ المُعاناة.

فإذا كان اسْتِدْعاءُ لحظة انفعال الأولى وإخضاعها للمُقتضَيات مُمكِنًا وحاضرًا، فإن هذه اللحظة، لحظة انفعال الأولى، هي الأجدر بأن تمثّل أوفيليا بوصفها كائن الوَسَط المخلخَل.

إنّ التّمزُّقَ الحاصِل نتيجة استدعاء لحظة انفعال الأولى وتكريسها ضمن تداعياتٍ مُغْرِضَة، يبدو مُحاكِيًا تماما للقَطْع بين إخضاع "اللا-انسجام" لمُقتضيات لغة الخطاب الاستلابي، بمعنى اسْتِلاب حقيقة اللا انسجام لصالح

التّناقض وتكريساته، وبين إخضاعه لِمُعايَشَةِ الصّمت، بمعنى الإصْغاء للوجود واستيعاب اللا-انسجام لصالح الاختلاف في ذَوْبٍ تأمُّليٍّ داخل لحظة انفعال الأولى.

لحظةُ انفعال الأولى بوصفها مُمكنًا صامتًا

ربّما، حين يكون مُمكنًا سَبْرُ أغوار آليّاتِ تكريس "لحظة انفعال الأولى"، متمثّلةً بأوفيليا، تُصبح وظيفة لحظة انفعال الأولى على مرمى الإدراك وفهمها مَهَمَّة مُنجَزَة.

في التّشكيلاتِ الناشئة عن التّواترات بين لحظة انفعال الأولى ومُجمل التّكريسات المُغرضَة بشأنها، في هذه التّشكيلاتِ بالذّات تتجلّى دلالات لحظة انفعال الأولى.

فمنذ البداية، لم يكن تشكيل لحظة انفعال الأولى مُستقلًا وحرًّا ومن خلال تقديم أوفيليا إلى مُقدّمة خشبة العرض، بل تمّ التّعامل، استعراضيًّا وعلاجيًّا، مع لحظة انفعال الأولى من خلال نسيج العلاقات المرتبطة بموقف السّلطة (الأب الوزير وابنه)، وتكريسها للحظة انفعال الأولى، من خلال خطاب الوِصاية والإرجاع والإسكات كما بيّنا سابقًا.

في التّواترات المتشكّلة هذه، لا تعدو لحظة انفعال الأولى "مَقولَةَ صَمْتٍ" تَسْكُتُ عن نسيجٍ من الوظائف وانفعالات والحُدُوسِ والأهواء، حيث، وضمن هذه التواترات، لن يكون مُمكنًا فهم التّكريسات إلاّ بأدواتِ لحظة انفعال الأولى وكذلك العكس. وإذا افترضنا أن لحظة انفعال الأولى اكتسبت منذ البداية غُموضًا ما، يُعزى من قبل كثيرٍ من النّقاد إلى شخصيّة أوفيليا ذاتها، هذا الشّعور بالغموض يتمّ انتزاعه تدريجيًّا مع تداعيّات تكريس الخطاب الاستلابي

له، إنّه حقلُ صَمْتٍ بمقدار لا إفصاحه عن نفسه مُستقلًا عن المقولة النّقيضة التّكريسيّة والمُغرِضَة التي "تتولّى" الإفصاحَ ونزع الغُموض.
ولكن، تستمدّ التّكريسات طبيعتها من طبيعة لحظة انفعال الأولى نفسها، حيث محطّ انشغالها، فالأدوات والخطاب المُستخدم مع أوفيليا تنطلق من طبيعة أوفيليا (كونها فتاة مثلًا، وما يترتّب على ذلك في مجتمع يخضع لخطابٍ كاملٍ متكامل فيما يتعلّق بوضعيّة المرأة فيه)، وهذا ليس هو الخطابُ ذاته المُستخدم عند التعامل مع هاملت.

هذه التواترات المتبادلة بين لحظة انفعال الأولى وبين تداعيات التّكريسات المُغرِضَة، إنّما تحثُّ على "الإدراك الفاعل"، الذي ينتقل بلحظة انفعال الأولى من مرحلةٍ قبْلَ-فَهْمِيَّة إلى مرحلةٍ بَعْدَ-فَهْمِيَّة.
وبغضّ النظر عن التّفصيلاتِ الجُوّانيّة المُمكنة للحظة انفعال الأولى، لنأخذ العلاقة المجرّدة بين "ذاتها" (متمثّلةً بأوفيليا) والوجود، المُنفَعَلُ بهِ وفيهِ، (متمثلًا في هاملت)، هذه العلاقة مُجرّدةٌ لأنّها تُنَحّي التّبايُناتِ بين تدرُّجاتِ الحَقائق الكائنة فيما تعنيه لحظة انفعال الأولى وما تعنيه التّكريساتِ المُغرِضَة على حدٍّ سَواء.
هذا التّجريد للعلاقة لا يخدم سوى، ربّما، المرحلة القبْلَ-فَهْميّة التي توحّد بين جميع "ذوات" لحظة انفعال الأولى.
هذه المحاولة تتكشّف عن مُفارقة إشكاليّة لا يمكن تجاهلها، حيث لا يمكن، من جهةٍ واحدة، للحظة انفعال الأولى أن تكون خارج شروط "الإدراك الفاعل"

وما يؤسّس له. ولكن، علينا أن ننتبه إلى أن "الإدراك الفاعل" هذا لا تقوم له قائمة إلاّ بخصائص لحظة انفعال الأولى وما تنفعلُ به وفيه وله ومعه.. أي، وبكلماتٍ أخرى، خصائص الوجود المُنْفَعَلُ فيه وبه، ومن جهةٍ ثانية، فهي تتكشّف عن كيفيّات حدوث القطيعة واللاّ انسجام بين الذّوات (هاملتيًّا أو أوفيليًّا).

هذه المُفارقة إشكاليّةٌ بامتياز، حيث يُفترض، في حالة مُعايَشَةِ الوُجود أن يحدث الانسجام، بل التّطابُقُ، بين الإدراك الفاعل وما تمثّله لحظة انفعال الأولى، وأكثر من ذلك، النّزوع إلى خصائص تنفعل بالوجود وفيه، حيث تتجلّى لحظة انفعال الأولى كذاتٍ مُنفعلة، ولكن، هذا "التّجلّي" المُفتَرَض، ينهار غائصًا في غياهب الصّمت حين يتنحّى الإدراك الفاعل جانبًا ويتوارى عن الفعل.

الصّمتُ حينَ يُفْصِحُ يفقدُ خاصّيتَهُ الأولى: الصّمت ذاته. ولكنّ "الصّمت الصّامِت"، في سَيْرورتِهِ نحوَ "الصّمتِ الصّائت"، لا يفقد خاصيّتَه الأصليّة هو ذاته فحسب، بل يتغيّر مفهوم الإفصاح نفسه عند بداية التحوّل ومع كلّ تحوُّلٍ، فكما أن الدّائرة في بحثها عن مَركِزِها تنحرف عن مدارها فتفقد خاصّيتها الأولى بوصفها دائرة، كذلك يفقد المركز المُرادُ البلوغَ إليه كينونتَه بوصفه (كانَ) مركزًا لدائرةٍ (كانت).

في أيّ سَعيٍ لتفريغ الإدراك الفاعل من لحظة انفعال الأولى، إنما نفرّغ لحظة انفعال الأولى من ذاتها.

يؤسّس الخطابُ الاستلابي إلى الإدراك الفاعل بإحالة لحظة انفعال الوجودي إلى مُدرَكٍ يتداعى كموضوعاتٍ تتعلّق بأغراضٍ يكرّسها لمُقْتَضياتِه. ولكن،

وبحسب ما سبق وأوضحنا في مَثَلِ الدّائرة، فإنّ الخطابَ الاستلابي يتداعى ويتحوّل في سيرورة تحوّلاتِ لحظةِ انفعال الأولى التي يُسيّرُها الإدراكُ الفاعلُ المتعلّق بمُقتضيات الخطاب الاستلابي نفسه.

يرى الخطابُ الاستلابي إلى نفسه بوصفها مركزًا لدائرةٍ اسمها أوفيليا (في تمثُّلها المُنحَصِرِ في كونها لحظة انفعالٍ أولى داخل وجدان هاملت)، أيّ أن هذه الدائرة ليست سوى واحدة ضمن دوائر عديدة متشابكة تشكّل مُجمَلَ وُجدانِ هاملت. وفي سعْيِ الخطاب الاستلابي إلى إحرافِ دائرة أوفيليا نحو مركزه، إنما يُخلّ بمُجمل تشكيلاتِ الدّوائر وطبيعة علاقاتها البُنيويّة التي تشكّل وجدان هاملت، والآليّاتُ المُستخدمَةُ لتطويع هذه الدّوائر تستمدّ طبائعها من لَدُنِ هذه الدّوائر ومن لَدُنِ المركز على حدٍّ سواء، وطبيعة القوى المُستنفذة وطريقة استنفادها داخل هذا الصّراع هو ما يشكّل في النتيجة مُحصّلة البُنية المحكومة بالسيرورةِ والحركةِ الدائمة نحو مَصيرٍ واحدٍ هو الموت.

هاملت، وبدلَ أن يكونَ وجودًا مُنفعلًا في وجدان أوفيليا، باتَ مَوْجُودًا مُدْرَكًا وفاعلًا يتداعى كموضوعٍ مرتبطٍ بمقتضياتِ الخطابِ السُّلطويّ الاستلابي، وهو خطابٌ يشكّل آنيّةً بَيْنِيَّةً تتوسّطُ مِساحة الحياة في سَعْيٍ للسيْطرةِ على الوُجودِ عبرَ المَوْجود؛ إنّه الصّيرورَةُ حيث مجمل التّحوّلات الجارية بين لحظةِ الميلادِ ولحظةِ الموت.

الخطابُ الاستلابي، في هذا السياق، صيرورةٌ في زمنيّةٍ مُتناهيةٍ تعي انقذافَها صَوبَ المَوتْ. وما بعدَ الموت ليس إلاّ الصّمت والسُّكُونْ. ولكن كيف؟

هاملتيًّا، حاول شكسبير، وعَبْرَ هاملت، تجاوزَ نهائيّةِ الزّمنِ في شُروعٍ حركيٍّ إلى المُستقبَل (مُقارعة الخطاب الاستلابي) من خلال تفعيل الماضي (استحضار الطيف)، في سعيٍ إلى استرجاع الشُّروط الأولى لتشكّل "الرّغبةِ المفقُودة" من خلال التّصويرات الوجوديّة العينيّة لها التي تعبّر عن تجلّي أحد المُمكناتِ، وكأن هاملت، بهذا، إنما يقوم بتفعيلِ مساحة الصّمتِ من جديد، حيث ما خفِيَ أو تنحّى أو توارى من المُمكنات (راجع ابن عربي).

أوفيليا، وبدل أن تكونَ لحظةَ انفعالٍ أولى في وجدان هاملت، باتت مدعاةً للقطيعة واللاّ انسجام بين ذواته؛ تلك المساحةُ الصّامتة المُتَداعية، في إفصاحاتها، داخل تكريسات مُغرضة. إنها أحد المُمكناتِ المتنحيّة تحت ضغوطات الوجود العينيّ المُنتَقى. إنها أحد الأشكال الذي يُعلنُ في الصّمت عن وجوده كإمكانٍ خفِيٍّ لا كإمكانٍ جليٍّ.

لا يُمكن للحظةِ مُعايشَةِ الوُجود أن تُشير إلى نفسِها بوصفها وجودًا عَيْنِيًّا، إلاّ إذا تخلّت عن مُعايشة الوُجود "للحظةٍ" تكون فيها عينًا للوجود. في هذا "الخُروج" (خيانةٌ) للوُجودِ المُعاشِ وللطبيعة "الأصلانيّة" للخارجِ (الفاعل) والخارجِ عنه والخارج إليه.

في كلّ خُروجٍ انْتِقاءٌ ما لممكِنٍ ما باتَ وجودًا عيْنيًّا جليًّا يشيرُ بالضّرورة إلى إقْصاءٍ ما لمُمكناتٍ ما تزال في طورِ الصّمت المتواري.

أوفيليا هي لحظة انفعال الأولى، في وجدان هاملت، التي ما تزال تشير إلى ما أقْصِيَ: إلى الرّغبةِ المفقُودة في مُعايشة الوجود، في "أن أكون أو لا أكون" بدلًا من "السّيطرة على الموجود" عبر التماهي مع صيرورة الخطاب الاستلابي وتداعياته.

لحظةُ انفعال الأولى في الذّاتِ الرّاغِبَة

"لحظةُ انفعال الأولى" مُمكِنٌ. شُعاعٌ، أفلتَ من عِقالِ صَمْتٍ، يُشيرُ إلى مُمْكِناتٍ غير قابلةٍ للحضورِ العينيّ.

في لحظة انفعال الأولى مُنطَلَقُ جميع الأقنِعَةِ والتَّورِياتِ، لكنّها تجلّي الرّغبةِ. ففيما تشكّل لحظةُ انفعال الأولى حَجْبًا للخطابِ الاستلابي المُفْصِح مُتداعيًا عبر آليّاتِ الإدراكِ الفاعلِ، تشرعُ في تمثيل ما يشكّلُ كَشْفًا لهذا الخطابِ نفسه. الحاجبُ كاشِفٌ والكاشِفُ حاجِبٌ، لكنّ الحاجِبَ ليسَ المَحْجُوب، ولا الكاشِف هو المَكْشُوف. وبين إمكاناتِ المحجُوبِ والمكشوفِ المُمكِنِ هذا العُبُور المُتَواتِر بين كاشِف وحاجِبٍ؛ هذا الكائِنُ الوسَطُ، أو هذه الرّغبَةُ غيرُ المُتَحَقّقَةِ، أو هذه الجُزئيّةُ البَرْزَخِيَّةُ في وُجدانِ هاملت التي منحها شكسبير اسمَ أوفيليا.

من هنا نرى إلى هاملت بوصفِهِ ذاتًا راغِبَة.

في "لا تَحَقُّقِ " الرّغبةِ مَدخَلٌ إلى سبر دلالاتِ أوفيليا بوصفها أحد أبرز مقولاتِ الانفلاتِ (الجُنونيّ) أمام مَقُولاتِ التَّعَقُّلِ (الاستلابي) مؤَوّلَةً إمكاناتِ الصّمْتِ في لحظةِ انفعال الأولى. لحظة مُعايشةِ الوُجودْ.

من هنا، لم يكن مُستَغرَبًا إطلالَةُ سؤالِ من "يرغَب" في مُعايشة الوجود، (أكون أو لا أكون)، من شُرْفَةِ اللّقاء بأوفيليا بالذّات.

هذه الرّغبةُ الكامنة....

هذه الرّغبةُ اللّصيقَةُ بالصّمتِ المُفْصِح، أو المُمْكِنُ القابلُ للحُضُورِ، في استمرارِهِ للتّدليلِ على مَنْبَعِهِ أو مُمْكِناتِ الصّمتِ غير القابلة للحضُور والتَّحَقُّقِ العَيْنيّ، متمثّلةً هنا في أوفيليا؛ الرّغبةُ غير المُمكنة للتّحَقُّقِ وُجدانِيًّا عند هاملت في صَيْرورَتِهِ المُحْتَدِمَةِ على حَلَبَةِ "إراداتِ القُوّة" المُتصارِعَة.

هذا المُمكنُ الحاضرُ، أو الإفصاحُ الأوفيليّ يبقى "عاجزًا" عن إحداثِ قطيعةٍ تامّةٍ مع شروط تكوينه ضمن مُمكناتِ الصّمت الغائب. من هنا نفهم لماذا يبقى هذا الإفصاحُ الأوفيليّ منْزُوعَ الإرادة . الإرادة الحُرّة؛ فإنّ إراداتِ القوّةِ المُفصِحَةِ والصّائتةِ هي التي تمنح أوفيليا معناها ضمن وجودِها العينيّ، ومادّيّةَ حقيقتِها.

أوفيليا تنتمي إلى الصّمتِ بوصفهِ مُمكناتٍ متعدّدة لا تزال خارجَ الإفصاح، وكلُّ ما تمثّله إراداتُ القوّةِ، متمثّلةً في دوائر الصّراع بين ما يمثّله هاملت من جهة وما يمثّله الخطابُ الاستلابي من جهةٍ ثانية، يبقى خارج دائرة انتمائها.

وأوفيليا، بالتالي، هي البرزخُ من حيث هي إقصاءٌ من قِبَلِ الصّمتِ بوصفهِ مُمكناتٍ لا تنتمي إلى الوُجودِ العيْنيّ، هذا من جهة، وهي إقصاءٌ من قِبَلِ الوُجودِ العينيّ بوصفها الرّغبةُ التي تشير بالبنانِ إلى مُمكناتٍ صامتة يُرادُ طَمسِها.

الخطابُ الاستلابي يرى إلى نفسهِ صَوتًا للوجود الذي يمثّل حُضورُهم العينيّ فيه الحقيقةَ الوحيدة مقابل العدم الفارغ.

أوفيليا، بوَصْفِها تجلّيًا لمُمكِنٍ إنما تقولُ بعَدَمٍ ممتلئ، وعَدَم مُفعَمٍ بالمُمْكِناتِ التي تجعل من الحضور العيني مجرّد مُمكِنٍ لا يشكّل الحقيقةَ الواحدة والوحيدة.

الوجُودُ، في حضرةِ أوفيليا، يبدو كاحتمالٍ لا كمُطلَقٍ، وكإنسانيّ. محضُ إنسانيّ ومسكونٍ بالإنْسُقُوط، وليسَ ما فوقَ إنسانيّ كما يريد له الخطابُ الآخر أن يكون بعد استلاب الصَّمتِ منه بوصفه خزائنًا للمُمكنات.

هذه هي الطبيعة المأساويّة في تشكيل أوفيليا الدّراميّ، فهي التجلّي الأكبر لرغبويّة هاملت؛ هذا الكائن الرّاغبُ المسكونُ والمدفوع برغبَةٍ لا تُفصِحُ عن نفسِها إلاّ في مدى لا تحقُّقِها.
هذه الرّغبةُ هي التّواتر والتّوتُّرُ الأزليّ بين مُمكنٍ تحقّقَ (في الماضي) وجودًا عينيًّا شَرْطُه الإنسان، يُعاشُ فيه وبه، وبين مُمكِناتٍ لم تتحقّق (قد تتحقّق مُستقبلًا) وهي ما تشكّلُ "علمَ الغَيْب" أو "الشّرط الإلهيّ" (إذا شئتم) حيث تكمن احتمالات المُستقبل.
هاملتُ، أوفيليًّا، هو الرّغبةُ المُحمّلة بشروط الماضي والنازعة إلى المستقبل في وتيرةٍ احتداميّةٍ في شكلِ حياةٍ تتجه نحو الموت.
وهذه هي إشكاليّة لحظة انفعال الأولى، حيث لا يمكن لمن يرغب في مُعايشَةِ الوُجود أن يكون هو ذاته المُفصِح عن الوجود ومُعاينُه.

الإدراكُ الفاعلُ هو المسؤولُ عن مأساويّة هاملت وهو المسؤول عن مأساويّة أوديب، ومأساويّة جلقامش الخ.. ولا يمكن فهم هذا الارتباط بين الإدراك الفاعل وبين المأساة إلاّ بما يُحدِثُهُ الأوّل من قطيعَةٍ تامّةٍ بين مُعايَشة الوجود في خزائن مُمكِناتِ الصّمت وبين تعيين الوجود مع حتميّة ارتباط شروط هذا

التعيين بمجمل تفاعلات إرادات القوّة. وبين هذا وذاك أوفيليا؛ بين هذا وذاك وُجدانُ هاملت.

أزمةُ الرّغبةِ في اشتغالها كُرَوِيًّا، أي في جميع الاتجاهاتِ في آنٍ معًا.
فإذا ما أفصَحَت "لحظةُ انفعال الأولى" عمّا استهْدَفهُ الصّمتُ في مُمكِناته، فبهذا الإفصاح إنما تُسْتشَفُّ طبيعة ما لم يُسْتَهْدَف من مُمكِناتٍ ما زالت مُشرَعَةً نحوَ المُستقبَلْ. نحو ما لم يتحقَّق بعد. هذا الاسْتِشْفاف لا يحدثُ إلاّ في الرّغبةِ التي، وفيما هي توجّهُ الصّمْتَ نحوَ مُمْكِنٍ مُفصَحًا عنهُ، توجّهُ المُمْكِنَ المُتَحَقِّقَ نحو مُمكِنات الصّمتِ غير المُتحقِّقة بعد.
من هنا، فلا سبيل إلى فَهْمِ أوفيليا، متمثّلةً في لحظة انفعال الأولى، إلاّ كدَوْرٍ يُضيفُ إلى وُجدانِ هاملت بُعدًا أصيلًا في إصْغائِهِ إلى الصّمتِ يجعلُ من حقيقته الإنسانيّة خزائنَ مُمْكِناتٍ تتجه إلى المستقبل على شكلِ سَهْمٍ، لكنّها محكومةٌ بالموْت.
حضورُ أوفيليا وصائتِيَّتُها يتحدّدان في مدى الفارقِ بينهما وبين فاعليّة تعيين الخطاب الاستلابي.
معنى ذلك أنّ طبيعةَ أوفيليا حاضرةٌ فيما تُشير إليه من رغبةٍ غير متحقِّقةٍ في حقيقة الخطاب الاستلابي، ما يجعل من حضورها مشروطًا بحضور الخطاب الاستلابي عينه ضمن وجودِهِ العينيّ المحكومِ بالتناقضاتِ الناجمةِ عن تداعياتِ إراداتِ القوَّةِ المتباينةِ التي لا يتشكّل ولا يحدثُ خارجَ تنافراتها، ما

معناه أن طبيعةَ أوفيليا أو طبيعة لحظة انفعال الأولى داخل وُجدان هاملت محكومةٌ هي كذلك بالتّنافُراتِ والتّناقُضاتِ عينها.

الخطابُ الاستلابي ومحاور تأثيره وفاعليّته التي تشكل الوجود العينيّ لفضاء "هاملت" الشكسبيريّ، يشكّلُون المُمْكنَ الحاضرَ والصّائتَ، "وما تبقّى صَمْتٌ وسُكُون"...[107]

[107] آخرُ عبارةٍ نطقها هاملت قبل لفظ نفسه الأخير.

المراجع الأجنبيّة

- Alan Sinfield, "Hamlet's Special Providence", Shakespeare Survey 33 (1980).
- Alex Newell, "The Soliloquies in Hamlet-The structural Design", Fairleigh Dickinson University Press, London, and Toronto: Associated University Presses, 1991.
- Allen Thiher, "Revels in madness: insanity in medicine and literature", Ann Arbor: University of Michigan Press, c1999.
- Ania Loomba, "Hamlet in Mizoram", in Cross-Cultural Performances: Differences in Women's Re-Visions of Shakespeare. Ed. Marianne Novy. Urbana: U of Illinois P, 1993.
- Anthony DiMatteo, "Hamlet: Reconstructing a Lost Code of Meaning", Connotations 6.1 (1996-97).
- Arnold Kettle, "Hamlet in a Changing World". From Shakespeare in a Changing World. London: Lawrence and Wishart, 1964. In Hamlet. Ed. Cyrus Hoy. 2nd ed. (Norton Critical Edition). New York: Norton, 1992.
- Bert Schwarzer, "Hamlet liest Hamlet", Peter Lang GmbH, Frankfurt am Main 1992.
- Carol Thomas Neely, "Documents in Madness", Reading Madness and Gender in Shakespeare's Tragedies and Early Modern Culture, Shakespeare Quarterly 42.3 (1991).

- Crapanzano, V. "Hermes' Dilemma and Hamlet's Desire: On the Epistemology of Interpretation". Cambridge (MA): Harvard UP, 1992.
- D. J. McDonald, "Hamlet and the Mimesis of Absence: A Post-Structuralist Analysis", Educational Theatre Journal 30 (1978): 36-53.
- David Leverenz, "The Woman in Hamlet: An Interpersonal View", In Representing Shakespeare: New Psychoanalytic Essays. Ed. Murray M. Schwartz and Coppélia Kahn. Baltimore: Johns Hopkins UP, 1980.
- Denise Russell, `Women, madness, and medicine`, Cambridge, Mass.: Polity Press, 1995.
- Díaz Fernández, José Ramón, and Sofía Muñoz Valdivieso. "From an Original Idea by William Shakespeare": Franco Zeffirelli's Film Version of Hamlet. Actas del XXI Congreso Internacional AEDEAN. Ed. F. Toda et al. Sevilla: U de Sevilla, 1999.
- Dieter Mehl, "Hamlet's Last Moments: A Note on John Russell Brown", Connotations 2.2 (1992).
- Elaine Showalter, "Representing Ophelia: Women, Madness, and the Responsibilities of Feminist Criticism", in Susan Wofford (ed.), Hamlet, St. Martin's Press, Boston, 1994.
- Ernest Jones, "Tragedy and the Mind of the Infant", From Hamlet and Oedipus. W. W. Norton. In Hamlet. Ed. Cyrus Hoy. 2nd ed. (Norton Critical Edition). New York: Norton, 1992.
- Gilles Deleuze, "Foucault"; translated and edited by Sean Hand London: The Athlone Press, 1988.

- Giulio Marra, "Shakespeare and this “imperfect” world: dramatic form and the nature of knowing", 1997 Peter Lang Publishing, Inc., New York.
- Harold Fisch, Hamlet and the Word. New York: Ungar, 1971.
- Edited by: Harold Jenkins, Thomson Learning, "HAMLET", London, WciR, 4LR, first published in 1982 by Methuen & Co. Ltd, Reprinted 2003 by Thomson.
- Harry Levin, "The Question of Hamlet", New York: Oxford UP, 1959.
- Jacqueline Rose, "Sexuality in the Reading of Shakespeare: Hamlet and Measure for Measure", In Alternative Shakespeares. Ed. John Drakakis. (New Accents). 1985. London: Routledge, 1988.
- Jacques Lacan, "Desire and the Interpretation of Desire in Hamlet", Literature and Psychoanalysis: The Question of Reading: Otherwise, ed. Shoshana Felman (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1982).
- Jacques Lacan, "Desire and the Interpretation of Desire in Hamlet", 1959. In Literature and Psychoanalysis, the Question of Reading: Otherwise. (Yale French Studies 55/56). New Haven: Yale UP, 1977.
- James L. Calderwood, "To Be and Not to Be: Negation and Metadrama in Hamlet". New York: Columbia U P, 1983.
- Janet, Adelman, "Suffocating Mothers: Fantasies of Maternal Origin in Shakespeare’s Plays", Hamlet to The Tempest. New York: Routledge, 1992.

- Lisa S. Starks, "The Displaced Body of Desire: Sexuality in Kenneth Branagh's Hamlet", In Shakespeare and Appropriation. Ed. Christy Desmet and Robert Sawyer. London: Routledge, 1999.
- Marjorie Garber, "Hamlet: Giving Up the Ghost", In William Shakespeare: Hamlet. Ed. Susanne L. Wofford. (Case Studies in Contemporary Criticism). Boston: Bedford Books of St. Martin's Press, 1994.
- Edited by Martin Coyle, "Hamlet"; Macmillan press LTD, first published, 1992.
- Maynard Mack, "The World of Hamlet", In Shakespeare: Hamlet: A Collection of Critical Essays. Ed. John D. Jump. (Casebooks series). Basingstoke: Macmillan, 1968.
- Neely, "Feminist Modes of Shakespearean Criticism: Compensatory, Justificatory, Transformational", Women's Studies 9.1-2 (1981): 3-15, at 11.
- Neil Freeman. "The tragedy of Hamlet, Prince of Denmark", by William Shakespeare; prepared & annotated by Neil Freeman, New York : Applause, 2000.
- Paul N. Siegel, "Hamlet, Revenge!": the Uses and Abuses of Historical Criticism." Shakespeare Survey 45 (1993).
- Phyllis Chesler, "Women and madness", New York, NY: Four Walls Eight Windows, c1997.

- Rebecca West, "The Nature of Will", From the Court and the Castle. New Haven: Yale UP, 1958. In Hamlet. Ed. Cyrus Hoy. 2nd ed. (Norton Critical Edition). New York: Norton, 1992.
- Richard, Corliss, "Wanna Be... or Wanna Not Be?", Time 137 (7 Jan. 1991): 73. (Hamlet, dir. Zeffirelli).
- Robert Weimann, "Mimesis in Hamlet", In Shakespeare and the Question of Theory. Ed. Patricia Parker and Geoffrey Hartman. London: Routledge, Chapman & Hall, 1985.
- Sara Evans, "Can we say Hamlet is insane?", Shakespeare, William. Hamlet. Norton Critical Ed. New York: Norton. 1992.
- Shakespeare and modernity: early modern to millennium / Hugh Grady New York: Routledge, 2000.
- Shoshana Felman, "Women and Madness: The Critical Phallacy" (1975), in Feminisms: An Anthology of Literary Theory and Criticism, ed. Robyn R. Warhol and Diane Price Herndl (New Brunswick: Rutgers University Press, 1991), 6-19, at 18.
- Stephen Greenblatt, "Hamlet in Purgatory", Princeton university press, Princeton and Oxford, 2001.
- Steven Mullaney, "Mourning and Misogyny: Hamlet, The Revenger's Tragedy, and the Final Progress of Elizabeth I, 1600-1607", Shakespeare Quarterly 45.2 (1994).
- Susanne L. Wofford, "Deconstruction and Hamlet", In William Shakespeare: Hamlet. Ed. Susanne L. Wofford. (Case Studies in

Contemporary Criticism). Boston: Bedford Books of St. Martin's Press, 1994.

- Susanne L. Wofford, "Feminist criticism and Hamlet", In William Shakespeare: Hamlet. Ed. Susanne L. Wofford. (Case Studies in Contemporary Criticism). Boston: Bedford Books of St. Martin's Press, 1994.
- Tom Matheson, "Hamlet's Last Words", Shakespeare Survey 48: Shakespeare and Cultural Exchange. Ed. Stanley Wells. Cambridge: Cambridge UP, 1996.
- Vanessa Púa Carretero, "Multiplicity in Shakespeare's Hamlet", Ms. Universidad de Zaragoza, Departamento de Filología Inglesa y Alemana, 2004.
- William D. Melaney, Albany. "After ontology: literary theory and modernist poetics", State University of New York Press, c2001.
- William Shakespeare, "The Tragicall Historie of Hamlet Prince of Denmarke". By William Shake-speare. As it hath been divers times acted by his Highness' servants in the City of London: as also in the two Universities of Cambridge and Oxford, and elsewhere. London, 1603. ("Bad" Quarto).

مراجع باللغة العربيّة

- المآسي الكبرى" . "هاملت"، تعريب ونقد جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.
- "الإنسان الخطّاء"، بول ريكور؛ ترجمة عدنان نجيب الدين، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2003.
- "أغاني مهيار الدّمشقي"، أدونيس.
- "سقوط الجدار السابع، الصراع النفسي في الأدب"، حسين جميل البرغوثي، دار العامل، الطبعة الأولى، 1981.
- "خطاب الجنون في الثقافة العربية"، محمد حيان السمان، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1993.
- "انجراحات السّلوك والفكر في الذات العربيّة، في الصّحة العقليّة والبحث عن التّكيّف الخلاّق"، د. علي زيعور، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1992.
- "تاريخ الجنسانيّة، الجزء الأول، إرادة العرفان"، ميشيل فوكو، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق. المغرب، 2004.
- "تاريخ الجنسانيّة، الجزء الثاني، استعمال المُتع"، ميشيل فوكو، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق. المغرب، 2004.
- "تاريخ الجنسانيّة، الجزء الثالث، الانشغال بالذّات"، ميشيل فوكو، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق. المغرب، 2004.
- مارتن هايدجر، "التّقنيّة – الحقيقة – الوجود"، ترجمة: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995.

- مارتن هايدجر، "أصل العمل الفني"، ترجمة د. أبو العيد دودو، منشورات الجمل، المانيا، الطبعة الأولى، 2003.
- جمال ضاهر، "فردانيّة الهويّة واللغة"، مقالة فكريّة "مدى آخر"، مجلة فكريّة ثقافيّة، تصدر عن مركز مدى الكرمل، حيفا، العدد الثاني، صيف 2006.
- محمد شوقي الزّين، "تأويلات وتفكيكات، فصولٌ في الفكر الغربيّ المعاصر"، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء. المغرب، الطبعة الأولى، 2002.
- محمد طواع، "هيدجر والميتافيزيقا . مقاربة تربة التأويل التقني للفكر"، أفريقيا الشرق، 2002.
- تاركوفسكي، السينما والحياة، ترجمة وإعداد: باسل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دمشق 1991.